عوف بن الحارث وهو ابن أخي عائشة لأمها عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول « ياعائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » ورواه النسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن بانك المدني ، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم . وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر . ثم قال سعيد فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي ويحك يا سعيد بن مسلم لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا فاستصغره فأتاه آت في منامه فقال له يا سليمان :

لا تحقرن من الذنوب صغيرا ... إن الصغير غدا يعود كبيرا
إن الصغير ولو تقادم عهده ... عند الاله مسطر تسطيرا
فازجر هواك عن البطالة لا تكن ... صعب القياد وشمر تشميرا
إن الحب إذا أحب إلهه ... طار الفؤاد وألهم التفكيرا
فاسأل هدايتك الاله بنية ... فكفى بربك هاديا ونصيرا

وقوله تعالى (إن المتقين في جنات ونهر) أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار على وجوههم مع التوبيخ والتقريع والتهديد . وقوله تعالى (في مقعد صدق) أي في دار كرامة الله ورضوانه وفضله وامتنانه وجوده وإحسانه (عند مليك مقتدر) أي عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها . وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون . وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ قال « المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا » انفرد باخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة بإسناده مثله آخر تفسير سورة اقتربت ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الرحمن وهي مكية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم عن زر أن رجلا قال كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسن أو أسن ؟ فقال كل القرآن قد قرأت قال إني لأقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال: أهذا كهذ الشعر لا أبالك ؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قرينتين قرينتين من أول المفصل وكان أول مفصل ابن مسعود (الرحمن) وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد الرحمن بن واقد أبو مسلم السعدي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لقد « قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم ، كنت كلما أتيت على قوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ثم حكى عن الإمام أحمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن مالك عن الوليد بن مسلم ، وعن عبد الله بن أحمد بن شبويه عن هشام ابن عمارة كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال لا نعرفه يروى إلا من هذا الوجه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد ابن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قالا حدثنا يحيى بن سليم عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال « ما لي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم ؟ » قالوا وماذاك يا رسول الله ؟ قال « ماأتيت على قول الله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) إلا قالت الجن لا بشيء من نعم ربنا نكذب » ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ * ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ

يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ * وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) قال الحسن يعنى النطق ، وقال الضحاك وقتادة وغيرهما يعنى الخير والشر وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لأن السياق فى تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها وقوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) أى يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) وقال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)

وعن عكرمة أنه قال لوجعل الله نور جميع أبصار الانس والجن والدواب والطير فى عينى عبد ثم كشف حجابا واحداً من سبعين حجابا دون الشمس لما استطاع أن ينظر إليها . ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسى ونور الكرسى جزء من سبعين جزءا من نورالعرش ونور العرش جزء من سبعين جزءا من نور الستر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور فى عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عياناً ، رواه ابن أبى حاتم وقوله تعالى (والنجم والشجر يسجدان) قال ابن جرير اختلف المفسرون فى معنى قوله والنجم بعد إجماعهم على أن الشجر ماقام على ساق فروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال النجم ما انبسط على وجه الأرض يعنى من النبات وكذا قال سعيد بن جبير والسدى وسفيان الثورى . وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى وقال مجاهد : النجم الذى فى السماء . وكذا قال الحسن وقتادة وهذا القول هو الأظهر والله أعلم لقوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) الآية وقوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) يعنى العدل كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وهكذا قال ههنا (ألا تطغوا فى الميزان) أى خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل . ولهذا قال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أى لاتبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال تعالى (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وقوله تعالى (والأرض وضعها للأنام) أى كما رفع السماء وضع الأرض ومهدها وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات لتستقر لما على وجهها من الأنام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم فى سائر أقطارها وأرجائها

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد :الأنام الخلق (فيها فاكهه) أى مختلفة الألوان والطعوم والروائح (والنخل ذات الأكمام) أفرده بالذكر لشرفه ونفعه رطبا و يابسا والأكمام قال ابن جريج عن ابن عباس : هى أوعية الطلع وهكذا قال غير واحد من المفسرين وهو الذى يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود فيكون بسرا ثم رطبا ثم ينضج ويتناهى يفعه واستواؤه وقال ابن أبى حاتم ذكر عن عمرو بن على الصيرفى حدثنا أبو قتيبة حدثنا يونس بن الحارث الطائفى عن الشعبى قال كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب :أخبرك أن رسلى أتتنى من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشىء من الخير تخرج مثل آذان الحمير ثم تشقق مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ثم تينع فتنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فإن تكن رسلى صدقتنى فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنه فكتب إليه عمر بن الخطاب: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم

إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا وهى الشجرة التى أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فأ (ن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين) وقيل الاكمام رفاتها وهو الليف الذى على عنق النخلة وهو قول الحسن وقتادة (والحب ذو العصف والريحان) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (والحب ذو العصف) يعنى التبن . وقال العوفى عن ابن عباس العصف ورق الزرع الأخضر الذى قطع رءوسه فهو يسمى العصف إذا يبس وكذا قال قتادة والضحاك وأبو مالك عصفه تبنه ، وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد والريحان يعنى الورق وقال الحسن هو ريحانكم هذا ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس والريحان خضر الزرع ، ومعنى هذا والله أعلم أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له فى حال نباته عصف وهو ما على السنبلة وريحان وهو الورق الملتف على ساقها وقيل العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلا والريحان الورق يعنى إذا أدجن وانعقد فيه الحب كما قال زيد بن عمرو بن نفيل فى قصيدته المشهورة :

وقولا له من ينبت الحب فى الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رابيا

ويخرج منه حبه فى رءوسه * فمن ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى فبأى الآلاء يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان ؟ قاله مجاهد وغير واحد ويدل عليه السياق بعده أى النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون إنكارها ولا جحودها فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به اللهم ولا بشىء من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد وكان ابن عباس يقول لا بأيها يا رب أى لا نكذب بشىء منها ، قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة عن أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ وهو يصلى نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يستمعون (فبأى آلاء ربكما تكذبان؟)

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار وخلقه الجان من مارج من نار وهو طرف لهبها قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد وقال العوفى عن ابن عباس من مارج من نار من لهب النار من أحسنها وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس من مارج من نار من خالص النار وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به

وقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان؟) تقدم تفسيره (رب المشرقين ورب المغربين) يعنى مشرقى الصيف والشتاء ومغربى الصيف والشتاء وقال فى الآية الأخرى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها فى كل يوم وبروزها منه إلى الناس وقال فى الآية الأخرى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب ولما كان فى اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح للخلق من الجن والإنس قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان؟) وقوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان) قال ابن عباس أى أرسلهما وقوله (يلتقيان)

قال ابن زيد أى منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما ، والمراد بقوله البحرين الملح والحلو فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس وقد قدمنا الكلام على ذلك فى سورة الفرقان عند قوله تعالى (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهـذا ملح أجاج * وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين : بحر السماء وبحر الأرض ، وهو مروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبزى قال ابن جرير لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض وهذا وإن كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه فانه لا يساعده اللفظ فانه تعالى قد قال (بينهما برزخ لا يبغيان) أى وجعل بينهما برزخا وهو الحاجز من الأرض لئلا يبغى هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التى هى مقصودة منه وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخا وحجرا محجورا وقوله تعالى (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) أى من مجموعهما فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ؟) والرسل إنما كانوا فى الإنس خاصة دون الجن وقد صح هذا الاطلاق . واللؤلؤ معروف ، وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ قاله مجاهد وقتادة وأبو رزين والضحاك وروى عن على ، وقيل كباره وجيده حكاه ابن جرير عن بعض السلف ورواه ابن أبى حاتم عن الربيع ابن أنس وحكاه السدى عمن حدثه عن ابن عباس وروى مثله عن على ومجاهد أيضا ومرة الهمدانى وقيل هو نوع من الجواهر أحمر اللون . قال السدى عن أبى مالك عن مسروق عن عبد الله قال : المرجان الخرز الأحمر قال السدى وهو الكسد بالفارسية ، وأما قوله (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) فاللحم من كل من الأجاج والعذب والحلية إنما هى من الملح دون العذب . قال ابن عباس ما سقطت قط قطرة من السماء فى البحر فوقعت فى صدفة إلا صار منها لؤلؤة وكذا قال عكرمة وزاد فإذا لم تقع فى صدفة نبتت بها عنبرة ، وروى من غير وجه عن ابن عباس نحوه . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف فى البحر أفواهها فما وقع فيها يعنى من قطر فهو اللؤلؤ . إسناده صحيح ، ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض امتن بها عليهم فقال (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) . وقوله تعالى (وله الجوار المنشآت) يعنى السفن التى تجرى (فى البحر) قال مجاهد ما رفع قلعه من السفن فهى منشآت وما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت ، وقال قتادة المنشئات يعنى المخلوقات ،وقال غيره المنشئات بكسر الشين يعنى البادئات (كالأعلام) أى كالجبال فى كبرها وما فيها من التاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم مما فيه صلاح للناس فى جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ولهذا قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا العيزار بن سويد عن عمرة بن سويد قال كنت مع على بن أبى طالب رضى الله عنه على شاطىء الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ثم قال يقول الله عز وجل (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام)والذى أنشأها تجرى فى بحوره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فان الرب تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحى الذى لا يموت أبدا قال قتادة أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فان . وفى الدعاء المأثور :ياحى ياقيوم يا بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا إلى أحد من خلقك . وقال الشعبى إذا قرأت (كل من

عليها فان) فلا تسكت حتى تقرأ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وهذه الآية كقوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقد نعت تعالى وجهه الكريم فى هذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والاكرام أى هو أهل أن يجل فلا يعصى وأن يطاع فلا يخالف كقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وكقوله إخبارا عن المتصدقين (إنما نطعمكم لوجه الله) قال ابن عباس ذو الجلال والإكرام ذو العظمة والكبرياء ، ولما أخبر تعالى عن تساوى أهل الأرض كلهم فى الوفاة وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ، وقوله تعالى (يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن) وهذا إخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق اليه فى جميع الآنات وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم وأنه كل يوم هو فى شأن قال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير (كل يوم هو فى شأن) قال من شأنه أن يجيب داعيا أو يعطى سائلا ، أو يفك عانيا أو يشفى سقيما

وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كل يوم هو يجيب داعيا ويكشف كربا ويجيب مضطرا ؛ ويغفر ذنبا ، وقال قتادة لا يستغنى عنه أهل السموات والأرض يحيى حيا ويميت ميتا ، ويربى صغيرا ويفك أسيراً وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم . وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو اليمان الحمصى حدثنا جرير بن عثمان عن سويد بن جبلة هو الفزارى قال إن ربكم كل يوم هو فى شأن فيعتق رقابا ، ويعطى رغابا ، ويفحم عقابا

وقال ابن جرير حدثنى عبد الله بن محمد بن عمرو الغزى حدثنى إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابى حدثنى عمرو ابن بكر السكسكى حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغسانى عن أبيه عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدى عن ابيه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (كل يوم فى شأن) فقلنا يارسول الله وماذاك الشأن؟ قال « أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار وسليمان ابن أحمد الواسطى قالا : حدثنا الوزير بن صبيح الثقفى أبو روح الدمشقى والسياق لهشام قال سمعت يونس بن ميسرة ابن حليس يحدث عن أم الدرداء عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال : « قال الله عزوجل (كل يوم هو فى شأن) - قال - من شأنه أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين » . وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة عن هشام ابن عمار به ، ثم ساقه من حديث أبى الوليد بن شجاع عن الوزير بن صبيح قال ورد فيما علقه الوليد بن مسلم عن مطرف عن الشعبى عن أم الدراداء عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ فذكره قال والصحيح الأول يعنى إسناده الأول ﴿ قلت ﴾ وقد روى موقوفا كما علقه البخارى بصيغة الجزم فجعله من كلام أبى الدرداء فالله أعلم . وقال البزار حدثنا محمد ابن المثنى حدثنا محمد بن الحارث حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلمانى عن أبيه عن ابن عمر عن النبى ﷺ كل يوم هو فى شأن قال « يغفر ذنبا ، ويكشف كربا » ثم قال ابن جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله ابن موسى عن أبى حمزة الثمالى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق فى كل نظرة ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان) قال وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ ، وكذا قال الضحاك هذا وعيد ، وقال قتادة قد دنا من الله فراغ لخلقه ، وقال ابن جريج (سنفرغ

لكم) أى سنقضى لكم وقال البخارى سنحاسبكم لايشغله شىء عن شىء وهو معروف فى كلام العرب يقال لأفرغن لك ومابه شغل يقول لآخذنك على غرتك وقوله تعالى (أيها الثقلان) الثقلان: الانس والجن كما جا فى الصحيح « يسمعه كل شىء إلا الثقلين » وفى رواية « إلاالانس والجن » وفى حديث الصور « الثقلان الانس والجن » فبأى آلاء ربكما تكذبان) . ثم قال تعالى (يامعشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) أى لاتستطيعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لاتقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم أينما ذهبتم أحيط بكم . وهذا فى مقام الحشر ؛ الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب (إلا بسلطان) أى الا بأمر الله (يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لاوزر إلى ربك يومئذ المستقر) . وقال تعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولهذا قال تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الشواظ هو لهب النار ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس الشواظ الدخان وقال مجاهد هو اللهب الأخضر المنقطع وقال أبو صالح الشواظ هو اللهب الذى فوق النار ودون الدخان . وقال الضحاك (شواظ من النار) سيل من نار . وقوله تعالى (ونحاس) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ونحاس) دخان النار ، وروى مثله عن أبى صالح وسعيد بن جبير وأبى سنان وقال ابن جرير والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرها والقراء مجمعة على الضم ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة جعدة :

يضىء كضوء سراج السلي ط لم يجعل الله فيه نحاسا

يعنى دخانا هكذا قال . وقد روى الطبرانى من طريق جويبر عن الضحاك أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال هو اللهب الذى لادخان معه فسأله شاهدا على ذلك من اللغة فأنشده بيت أمية بن أبى الصلت فى حسان :

ألا من مبلغ حسان عنى مغلغلة تدب إلى عكاظ
أليس أبوك فينا كان قينا لدى القينات فسلا فى الحفاظ
يمانيا يظل يشد كيرا وينفخ دائبا لهب الشواظ

قال صدقت فما النحاس ؟ قال هو الدخان الذى لا لهب له ، قال فهل تعرفه العرب ؟ قال نعم أما سمعت نابغة بنى ذبيان[1] يقول :

يضىء كضوء سراج السلي ط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال مجاهد النحاس الصفر يذاب فيصب على رءوسهم وكذا قال قتادة وقال الضحاك ونحاس سيل من نحاس ، والمعنى على كل قول لوذهبتم هاربين يوم القامة لردتكم الملائكة والزبانية بارسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ولهذا قال (فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟)

﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يقول تعالى (فاذا انشقت السماء) يوم القامة كما دلت عليه هذه الآيات مع ماشاكلها من الآيات الواردة فى معناها

(١) كذا بالأصول وهو مخالف لما ذكره أولا من أنه نابغة بنى جعدة .

كقوله تعالى (وانشقت السماء فهى يؤمئذ واهية) وقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) وقوله (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) . وقوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) أى تذوب كما يذوب الدردى والفضة فى السبك وتتلون كما تتلون الأصباغ التى يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ،وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا عبد الرحمن بن أبى الصهباء حدثنا نافع أبو غالب الباهلى حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم » قال الجوهرى الطش المطر الضعيف ، وقال الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى (وردة كالدهان) قال هو الأديم الأحمر وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس (فكانت وردة كالدهان) كالفرس الورد ، وقال العوفى عن ابن عباس تغير لونها . وقال أبو صالح كالبرذون الورد ثم كانت بعد كالدهان وحكى البغوى وغيره أن الفرس الورد تكون فى الربيع صفراء وفى الشتاء حمراء فاذا اشتد البرد تغير لونها ، وقال الحسن البصرى تكون ألوانا وقال السدى تكون كلون البغلة الوردة وتكون كالمهل كدردى الزيت ، وقال مجاهد (كالدهان) كألوان الدهان وقال عطاء الخراسانى كلون دهن الورد فى الصفرة وقال قتادة هى اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذى ألوان وقال أبو الجوزاء فى صفاء الدهن وقال ابن جريج تصير السماء كالدهان الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم . وقوله تعالى (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) وهذه كقوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فهذا فى حال وثم فى حال يسئل الخلائق عن جميع أعمالهم قال الله تعالى (فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ولهذا قال قتادة (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان قال قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا ، فهذا قول ثان . وقال مجاهد فى هذه الآية لا تسأل الملائكة عن المجرمين بل يعرفون بسيماهم ،وهذا قول ثالث ، وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسئلون عن ذنوبهم بل يقادون إليها ويلقون فيها كما قال تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم)أى بعلامات تظهر عليهم وقال الحسن وقتادة يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون ﴿ قلت ﴾ وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء . وقوله تعالى (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) أى يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه فى النار كذلك ، وقال الأعمش عن ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب فى التنور ، وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه فى سلسلة من وراء ظهره، وقال السدى يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يعنى جده أخبرنى عبد الرحمن حدثنى رجل من كندة قال أتيت عائشة فدخلت عليها وبينى وبينها حجاب فقلت حدثك رسول الله ﷺ أنه يأتى عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعة ؟ قالت نعم لقد سألته عن هذا وأنا وهو فى شعار واحد قال « نعم حين يوضع الصراط لا أملك لأحد فيها شفاعة حتى أعلم أين يسلك بى ، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بى - أو قال يوحى - وعند الجسر حين يستحد ويستحر » فقالت وما يستحد وما يستحر ؟ قال - يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف ويستحر حتى يكون مثل الجمرة فأما المؤمن فيجوزه لا يضره ، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ أوسطه خر من قدميه فيهوى بيديه إلى قدميه - قالت فهل رأيت من يسعى حافيا فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه فانها كذلك يهوى بيده ورأسه إلى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف فى ناصيته وقدمه فتقذفه فى جهنم فيهوى فيها مقدار خمسين عاما - قلت ما ثقل الرجل ؟ قالت - ثقل عشر خلفات سمان فيؤمئذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام» .هذا حديث غريب جدا وفيه ألفاظ منكر رفعها وفى الإسناد من لم يسم ومثله لا يحتج به والله أعلم . وقوله تعالى (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) أى هذه النار التى كنتم تكذبون بوجودها هاهى حاضرة تشاهدونها عيانا ، يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتصغيرا وتحقيرا . وقوله تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) أى

تارة يعذبون فى الجحيم وتارة يسقون من الحميم وهو الشراب الذى هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء وهذه كقوله تعالى (إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون)

وقوله تعالى (آن) أى حار قد بلغ الغاية فى الحرارة لا يستطاع من شدة ذلك، قال ابن عباس فى قوله (يطوفون بينها وبين حميم آن) أى قد انتهى غليه واشتد حره وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن والثورى والسدى وقال قتادة قد آن طبخه منذ خلق الله السموات والأرض ، وقال محمد بن كعب القرظى يؤخذ العبد فيحرك بناصيته فى ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان فى الرأس وهى كالتى يقول الله تعالى (فى الحميم ثم فى النار يسجرون) والحميم الآن يعنى الحار ، وعن القرظى رواية أخرى (حميم آن) أى حاضر وهو قول ابن زيد أيضا والحاضر لا ينافى ما روى عن القرظى أولا أنه الحار كقوله تعالى (تسقى من عين آنية) أى حاضرة شديدة الحر لا تستطاع وكقوله (غير ناظرين إناه) يعنى استواءه ونضجه فقوله (حميم آن) أى حميم حار جدا . ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصى وغير ذلك قال ممتنا بذلك على بريته (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟)

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

قال ابن شوذب وعطاء الخراسانى نزلت هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فى أبى بكر الصديق ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن مصفى حدثنا بقية عن أبى بكر بن أبى مريم عن عطية بن قيس فى قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) نزلت فى الذى قال أحرقونى بالنار لعلى أضل الله قال تاب يوما وليلة ، بعد أن تكلم بهذا فقبل الله منه وأدخله الجنة ، والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره يقول الله تعالى (ولمن خاف مقام ربه) بين يدى الله عزوجل يوم القيامة (ونهى النفس عن الهوى) ولم يطع ولا آثر الحياة الدنيا وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان كما قال البخارى رحمه الله حدثنا عبد الله بن أبى الأسود حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » وأخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث عبد العزيز به ، وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه إلا قد رفعه فى قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفى قوله (ومن دونهما جنتان) جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين . وقال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المقرى حدثنا ابن أبى مريم أخبرنا محمد بن جعفر عن محمد بن حرملة عن عطاء بن يسار أخبرنى أبو الدرداء أن رسول الله ﷺ قرأ يوما هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق ؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق ؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال « وإن رغم أنف أبى الدرداء » ورواه النسائى من حديث محمد بن أبى حرملة به ، ورواه النسائى أيضا عن مؤمل بن هشام عن اسماعيل عن الجريرى عن موسى عن محمد بن سعد ابن أبى وقاص عن أبى الدرداء به ، وقد روى موقوفا على أبى الدرداء ، وروى عنه أنه قال : إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق . وهذه الآية عامة فى الانس والجن فهى من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم نعت هاتين الجنتين فقال (ذواتا أفنان) أى أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فاتقة (فبأى آلاء

ربكما تكذبان ؟) هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة أن الأفنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثنا مسلم بن قتيبة حدثنا عبد الله بن النعمان سمعت عكرمة يقول (دواتا أفنان) يقول ظل الأغصان على الحيطان ألم تسمع قول الشاعر :

ما هاج شوقك من هديل حمامة * تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو أبا فرخين صادف طاويا * ذا مخلبين من الصقور قطاما

وحكى البغوى عن مجاهد وعكرمة والضحاك والكلبي أنه الغصن المستقيم وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد السلام ابن حرب حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذواتا أفنان ذواتا ألوان قال وروى عن سعيد ابن جبير والحسن والسدى وخصيف والنضر بن عربي وابن سنان مثل ذلك ، ومعنى هذا القول أن فيهما فنونا من الملاذ واختاره ابن جرير وقال عطاء كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة ، وقال الربيع بن أنس (ذواتا أفنان) واسعتا الفناء وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها والله أعلم ، وقال قتادة ذواتا أفنان يعنى بسعتها وفضلها ومزيتها على ما سواها وقال محمد بن إسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى فقال « يسير فى ظل الفنن منها الراكب مائة سنة - أو قال يستظل فى ظل الفنن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال » ورواه الترمذى من حديث يونس بن بكر به وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه إلا قد رفعه فى قوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفى قوله (ومن دونهما جنتان) قال جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين (فيهما عينان تجريان) أى تسرحان لسقى تلك الأشجار والأغصان فتثمر من جميع الألوان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قال الحسن البصرى إحداهما يقال لها تسنيم والأخرى السلسبيل . وقال عطية إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين ، ولهذا قال بعد هذا (فيهما من كل فاكهة زوجان) أى من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون ومما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) . قال إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس مافى الدنيا ثمره حلوة ولا مرة إلا وهى فى الجنة حتى الحنظل ، وقال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء يعنى أن بين ذلك بونا عظيما وفرقا بينا فى التفاضل

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ * فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يقول تعالى (متكئين) يعنى أهل الجنة والمراد بالاتكاء ههنا الاضطجاع ويقال الجلوس على صفة الترتيب (على فرش بطائنها من إستبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال عكرمة والضحاك وقتادة وقال أبو عمران الجونى هو الديباج المزين بالذهب فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانة فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى قال أبو إسحاق عن هبيرة ابن مريم عن عبد الله بن مسعود قال : هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر . وقال مالك بن دينار بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور ، وقال سفيان الثورى أو شريك بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال القاسم بن محمد بطائنها من إستبرق وظواهرها من الرحمة ، وقال ابن شوذب عن أبي عبد الله الشامى ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر وعلى الظواهر الحجابس ولا يعلم ما تحت الحجابس الا الله تعالى ، ذكر ذلك كله الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله (وجنى الجنتين دان) أى ثمرهما قريب اليهم متى شاءوا تناولوه على أى صفة كانوا كما قال تعالى (قطوفها

دانية) وقال(ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) أى لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط إليه من أغصانها (فبأى آلاء ربكما تكذبان!) ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك(فيهن) أى فى الفرش (قاصرات الطرف) أى غضيضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئا فى الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراسانى وابن زيد وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها والله ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك ، ولا فى الجنة شيئا أحب إلى منك فالحمد لله الذى جعلك لى وجعلنى لك (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) أى بل هن أبكار عرب أتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن وهذه أيضا من الأدلة على دخول مؤمنى الجن الجنة قال أرطاة بن المنذر سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة ؟ قال نعم وينكحون ، للجن جنيات وللانس انسيات ، وذلك قوله (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) . ثم قال ينعتهن للخطاب (كأنهن الياقوت والمرجان) قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم فى صفاء الياقوت وبياض المرجان فجعلوا المرجان ههنا اللؤلؤ . وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبيد بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون الأودى عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مخها » وذلك قول الله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وهكذا رواه الترمذى من حديث عبيدة بن حميد وأبى الأحوص عن عطاء بن السائب به ورواه موقوفا ثم قال وهو أصح . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه . وقد روى مسلم حديث إسماعيل ابن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال إما تفاخروا وإما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء فقال أبو هريرة أو لم يقل أبو القاسم ﷺ « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتى تليها على ضوء كوكب درى فى السماء لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب » وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده ـ يعنى سوطه ـ من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولطاب ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » ورواه البخارى من حديث أبى إسحق عن حميد عن أنس بنحوه ، وقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) أى لا لمن أحسن العمل فى الدنيا إلا الإحسان إليه فى الآخرة كما قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال البغوى حدثنا أبو سعيد الشريحى حدثنا أبو إسحق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه حدثنا ابن شيبة حدثنا إسحق بن إبراهيم بن بهرام حدثنا الحجاج بن يوسف المكتب حدثنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وقال « هل تدرون ما قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة » ولما كان فى الذى ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) ومما يتعلق بقوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ما رواه الترمذى والبغوى من حديث أبى النضر بن هاشم بن القاسم عن أبى عقيل الثقفى عن أبى فروة يزيد بن سنان الرهاوى عن بكر بن فيروز عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة » ثم قال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من حديث أبى النضر ، وروى البغوى من حديث على بن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن محمد ابن أبى حرملة مولى حويطب بن عبد العزى عن عطاء بن يسار عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ

يقص على المنبر وهو يقول (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قلت وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت الثانية وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت الثالثة وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ فقال «وإن رغم أنف أبي الدرداء» .

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

هاتان الجنتان دون الاثنين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن قال الله تعالى (ومن دونهما جنتان) وقد تقدم في الحديث : جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين وقال أبو موسى : جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لأصحاب اليمين وقال ابن عباس (ومن دونهما جنتان) من دونهما في الدرج وقال ابن زيد من دونهما في الفضل . والدليل على شرف الأوليين على الأخريين وجوه ﴿أحدها﴾ أنه نعت الأوليين قبلهما تين والتقديم يدل على الاعتناء ثم قال (ومن دونهما جنتان) وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وقال هناك (ذواتا أفنان) وهي الأغصان أو الفنون في الملاذ وقال ههنا (مدهامتان) أي سوداوان من شدة الري من الماء قال ابن عباس في قوله (مدهامتان) قداسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مدهامتان قال خضراوان وروى عن أبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في إحدى الروايات وعطاء وعطية العوفي والحسن البصري ويحيى بن رافع وسفيان الثوري نحو ذلك ، وقال محمد بن كعب (مدهامتان) ممتلئتان من الخضرة وقال قتادة خضراوان من الري ناعمتان ولاشك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض وقال هناك (فيهما عينان تجريان) وقال ههنا (نضاختان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فياضتان والجرى أقوى من النضخ وقال الضحاك (نضاختان) أي ممتلئتان ولا تنقطعان وقال هناك (فيهما من كل فاكهة زوجان) وقال ههنا (فيهما فاكهة ونخل ورمان) ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنويع على فاكهة وهي نكرة في سياق الاثبات لاتعم ولهذا ليس قوله (ونخل ورمان) من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما ، قال عبد بن حميد حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا حصين بن عمر حدثنا مخارق عن طارق بن سهل عن شهاب عن عمر بن الخطاب قال جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا يامحمد أفي الجنة فاكهة ؟ قال «نعم فيها فاكهة ونخل ورمان» قالوا أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا ؟ «قال نعم وأضعاف» قالوا فيقضون الحوائج قال «لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب الله مافي بطونهم من أذى» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الفضل ابن دكين حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم ومنها حللهم وكربها[1] ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر ، وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم ، وحدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن أبي هارون عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب » ثم قال (فيهن خيرات حسان) قيل

(١) كذا في الأصل ، وفي البغوي : وورقها .

المراد خيرات كثيرة حسنة فى الجنة قاله قتادة ، وقيل خيرات جمع خيرة وهى المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه قاله الجمهور ، وروى مرفوعا عن أم سلمة وفى الحديث الآخر الذى سنورده فى سورة الواقعة إن شاء الله تعالى أن الحور العين يغنين : نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام ، ولهذا قرأ بعضهم (فيهن خيرات) بالتشديد (حسان* فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم قال (حور مقصورات فى الخيام) وهناك قال (فيهن قاصرات الطرف) ولا شك أن التى قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات ، قال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودى حدثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن القاسم بن أبى بزة عن أبى عبيدة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : إن لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لامرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنها بيض مكنون ، وقوله تعالى (فى الخيام) قال البخارى حدثنا محمد ابن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « إن فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون » ورواه أيضا من حديث أبى عمران به وقال ثلاثون ميلا ، وأخرجه مسلم من حديث أبى عمران به ولفظه «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا » وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن أبى الربيع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أخبرنى خليد العصرى عن أبى الدرداء قال الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون بابا من در ، وحدثنا أبى حدثنا عيسى ابن أبى فاطمة حدثنا جرير عن هشام عن محمد بن المثنى عن ابن عباس فى قوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام) قال خيام اللؤلؤ وفى الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة أربع فراسخ فى أربع فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وقال عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء » ورواه الترمذى من حديث عمرو بن الحارث به . وقوله تعالى (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) قد تقدم مثله سواء إلا أنه زاد فى وصف الأوائل بقوله (كأنهن الياقوت والمرجان* فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الرفرف المحابس ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم هى المحابس ، وقال العلاء بن زيد الرفرف على السرير كهيئة المحابس المتدلى ، وقال عاصم الجحدرى (متكئين على رفرف خضر) يعنى الوسائد وهو قول الحسن البصرى فى رواية عنه ، وقال أبو داود الطيالسى عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى (متكئين على رفرف خضر) قال الرفرف رياض الجنة وقوله تعالى (وعبقرى حسان) قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى : العبقرى الزرابى ، وقال سعيد بن جبير هى عتاق الزرابى يعنى جيادها ، وقال مجاهد العبقرى الديباج وسئل الحسن البصرى عن قوله تعالى (وعبقرى حسان) فقال هى بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها ، وعن الحسن رواية أنها المرافق ، وقال زيد بن أسلم العبقرى أحمر وأصفر وأخضر ، وسئل العلاء بن زيد عن العبقرى فقال البسط أسفل من ذلك . وقال أبو حزرة يعقوب بن مجاهد : العبقرى من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد ، وقال أبو العالية العبقرى الطنافس المحملة إلى الرقة ماهى ، وقال القيسى كل ثوب موشى عند العرب عبقرى ، وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشى ، وقال الخليل بن أحمد كل شىء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب عبقريا ومنه قول النبى ﷺ فى عمر « فلم أر عبقريا يفرى فريه » وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة فانه قد قال هناك (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأحرى وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟) فوصف أهلها بالاحسان وهو أعلى المراتب والنهايات كما فى حديث

جبريل لما سأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان فهذه وجوه عديدة فى تفضيل الجنتين الأوليين على هاتين الأخيرتين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الأوليين . ثم قال (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) أى هو أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يكرم فيعبد ، ويشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى ، وقال ابن عباس (ذى الجلال والإكرام) ذى العظمة والكبرياء . وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عمير بن هانىء عن أبى العذراء عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجلوا الله يغفر لكم» وفى الحديث الآخر « إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم ، وذى السلطان ، وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى عنه » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو يوسف الحربى حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألظوا ياذا الجلال والإكرام » وكذا رواه الترمذى عن محمود ابن غيلان عن مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن سلمة به ثم قال غلط المؤمل فيه وهو غريب وليس بمحفوظ وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحاق حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن حسان القدسى عن ربيعة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ألظوا بذى الجلال والإكرام » ورواه النسائى من حديث عبد الله بن المبارك به ، وقال الجوهرى ألظ فلان بفلان إذا لزمه ، وقول ابن مسعود ألظوا ياذا الجلال والإكرام أى الزموا يقال الإلظاظ هو الالحاح ﴿ قلت ﴾ وكلاهما قريب من الآخر والله أعلم وهو المداومة واللزوم والالحاح . وفى صحيح مسلم والسنن الأربعة من حديث عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم لايقعد يعنى بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام» . آخر تفسير سورة الرحمن ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الواقعة وهى مكية ﴾

قال أبو إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر يارسول الله قد شبت قال «شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » رواه الترمذى وقال حسن غريب قال الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصرى حدثنا السرى بن يحيى الشيبانى عن أبى شجاع عن أبى ظبية قال مرض عبد الله مرضه الذى توفى فيه فعاده عثمان بن عفان فقال ما تشتكى ؟ قال ذنوبى قال فما تشتهى ؟ قال رحمة ربى قال ألا آمر لك بطبيب ؟ قال الطبيب أمرضنى قال ألا آمر لك بعطاء ؟ قال لا حاجة لى فيه قال يكون لبناتك من بعدك قال أتخشى على بناتى الفقر ؟ إنى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » ثم قال ابن عساكر كذا قال والصواب عن شجاع كما رواه عبد الله بن وهب عن السرى . وقال عبد الله بن وهب أخبرنى السرى بن يحيى أن شجاعا حدثه عن أبى ظبية عن عبد الله ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » فكان أبو ظبية لايدعها وكذا رواه أبو يعلى عن إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن منيب عن السرى بن يحيى عن شجاع عن أبى ظبية عن ابن مسعود به . ثم رواه عن إسحاق بن ابى إسرائيل عن محمد بن منيب العدنى عن السرى بن يحيى عن أبى ظبية عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » لم يذكر فى مسنده شجاعا قال وقد أمرت بناتى أن يقرأنها كل ليلة . وقد رواه ابن عساكر أيضا من حديث حجاج بن نصير وعثمان ابن أبى اليمان عن السرى بن يحيى عن شجاع عن أبى فاطمة قال مرض عبد الله فأتاه عثمان بن عفان يعوده فذكر الحديث بطوله ، قال عثمان بن اليمان كان أبو فاطمة هذا مولى لعلى بن أبى طالب . وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل ويحيى بن آدم حدثنا إسرائيل عن سماك بن حرب أنه سمع جابر بن سمرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الصلوات كنحو من صلاتكم التى تصلون اليوم ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان

يقرأ فى الفجر الواقعة ونحوها من السور

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنۢبَثًّا * وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً * فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها كما قال تعالى (فيومئذ وقعت الواقعة) وقوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أى ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) وقال (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) وقال تعالى (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) . ومعنى (كاذبة) كما قال محمد بن كعب لابد أن تكون ،وقال قتادة ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة . قال ابن جرير والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية . وقوله تعالى (خافضة رافعة) أى تخفض أقواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم وان كانوا فى الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين الى أعلى عليين الى النعيم المقيم وان كانوا فى الدنيا وضعاء هكذا قال الحسن وقتادة وغيرهما . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابو يزيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعنى حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسى عن أبيه عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (خافضة رافعة) تخفض أقواما وترفع آخرين وقال عبيد الله العتكى عن عثمان ابن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب (خافضة رافعة) قال الساعة خفضت أعداء الله الى النار ورفعت أولياء الله الى الجنة وقال محمد بن كعب تخفض رجالا كانوا فى الدنيا مرتفعين وترفع رجالا كانوا فى الدنيا مخفوضين ، وقال السدى خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين ، وقال العوفى عن ابن عباس (خافضة رافعة) أسمعت القريب والبعيد ، وقال عكرمة خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الاقصى وكذا قال الضحاك وقتادة

وقوله تعالى (إذا رجت الأرض رجا) أى حركت تحريكا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد فى قوله تعالى (إذا رجت الأرض رجا) أى زلزلت زلزالا وقال الربيع بن أنس تمرج بما فيها كرج الغربال بما فيه وهذا كقوله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وقال تعالى (ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم) وقوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى فتتت فتا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم ، وقال ابن زيد صارت الجبال كما قال الله تعالى (كثيبا مهيلا)

وقوله تعالى (فكانت هباء منبثا) قال أبو إسحاق عن الحارث عن على رضى الله عنه: هباء منبثا كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شىء ، وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (فكانت هباء منبثا) الهباء الذى يطير من النار إذا اضطرمت يطير منه الشرر فاذا وقع لم يكن شيئا ، وقال عكرمة : المنبث الذى قد ذرته الريح وبثته وقال قتادة (هباء منبثا) كيبس الشجر الذى تذروه الرياح . وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها أى قلعها وصيرورتها كالعهن المنفوش . وقوله تعالى (وكنتم أزواجا ثلاثة) أى ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين قال السدى وهم جمهور أهل الجنة ، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار - عياذاً بالله من صنيعهم - وطائفة سابقون بين يديه عزوجل وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم ، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عددا من أصحاب اليمين ولهذا قال تعالى (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون) وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة فى آخر السورة وقت

احتضارهم وهكذا ذكرهم فى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) الآية وذلك على أحد القولين فى الظالم لنفسه كما تقدم بيانه ، قال سفيان الثورى عن جابر الجعفى عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال هى التى فى سورة الملائكة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) . وقال ابن جريج عن ابن عباس هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون فى آخر السورة وفى سورة الملائكة ، وقال يزيد الرقاشى سألت ابن عباس عن قوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال أصنافا ثلاثة وقال مجاهد (وكنتم أزواجا ثلاثة) يعنى فرقا ثلاثة. وقال ميمون بن مهران: أفواجا ثلاثة ، وقال عبيد الله العتكى عن عثمان بن سراقة بن خالة عمر بن الخطاب (وكنتم أزواجا ثلاثة) اثنان فى الجنة وواحد فى النار . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبى ثور عن سماك عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ (وإذا النفوس زوجت) قال الضرباء كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بأن الله تعالى يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون) قال هم الضرباء .

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى حدثنا البراء الغنوى حدثنا الحسن عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . . . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) فقبض بيده قبضتين فقال «هذه للجنة ولا أبالى وهذه للنار ولا أبالى » وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا خالد بن أبى عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامه ؟ — قالوا الله ورسوله أعلم قال — الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم » وقال محمد بن كعب وأبو حرزة يعقوب بن مجاهد (والسابقون السابقون) هم الأنبياء عليهم السلام وقال السدى هم أهل عليين ، وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (والسابقون السابقون) قال يوشع ابن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وعلى بن أبى طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ رواه ابن أبى حاتم عن محمد بن هارون الفلاس عن عبد الله بن إسماعيل المدائنى البزار عن سفيان بن الضحاك المدائنى عن سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح به . وقال ابن أبى حاتم وذكر عن محمد بن أبى حماد حدثنا مهران عن خارجة عن قرة عن ابن سيرين (والسابقون السابقون) الذين صلوا إلى القبلتين . ورواه ابن جرير من حديث خارجة به وقال الحسن وقتادة (والسبقون السابقون) أى من كل أمة ، وقال الأوزاعى عن عثمان بن أبى سودة أنه قرأ هذه الآية (والسابقون السابقون أولئك المقربون) ثم قال أولهم رواحا إلى المسجد وأولهم خروجا فى سبيل الله ، وهذه الأقوال كلها صحيحة فان المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا كما قال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضهما السموات والأرض) وقال تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) فمن سابق فى هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان فى الآخرة من السابقين إلى الكرامة فان الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان ، ولهذا قال تعالى (أولئك المقربون فى جنات النعيم) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن زكريا الفزارى الرازى حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال: قالت الملائكة يارب جعلت لبنى آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون فاجعل لنا الآخرة فقال لا أفعل فراجعوا ثلاثا فقال لا أجعل من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان . ثم قرأ عبد الله (والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم) وقد روى هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمى فى كتابه الرد على الجهمية ولفظه: فقال الله عز وجل: لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان.

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ

وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلة أى جماعة من الأولين وقليل من الآخرين وقد اختلفوا فى المراد بقوله الأولين والآخرين فقيل المراد بالأولين الأمم الماضية وبالآخرين هذه الأمة ، هذا رواية عن مجاهد والحسن البصرى رواها عنهما ابن أبى حاتم وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » ولم يحك غيره ولا عزاه إلى أحد ومما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا شريك بن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال: لما نزلت (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) شق ذلك على أصحاب النبى ﷺ فنزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) فقال النبى ﷺ « إنى لأرجو ان تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة أوشطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثانى » ورواه الإمام أحمد عن أسود بن عامر عن شريك عن محمد بياع اللاء عن أبيه عن أبى هريرة فذكره

وقد روى من حديث جابر نحو هذا ، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمارة حدثنا عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ لما نزلت إذا وقعت الواقعة ذكر فيها ثلة من الأولين وقليل من الآخرين قال عمر يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا ؟ قال فأمسك آخر السورة سنة ثم نزل (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) فقال رسول الله ﷺ « يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ألا وان من آدم إلى ثلة وأمتى ثلة ولن نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل ممن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » هكذا أورده فى ترجمة عروة بن رويم إسنادا ومتنا ولكن فى إسناده نظر ، وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ « إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » الحديث بتمامه وهو مفرد فى صفة الجنة ولله الحمد والمنة . وهذا الذى اختاره ابن جرير ههنا فيه نظر بل هو قول ضعيف لأن هذه الأمه هى خير الأمم بنص القرآن فيبعد أن يكون المقربون فى غيرها أكثر منها اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم والله أعلم ، فالقول الثانى فى هذا المقام هو الراجح وهو أن يكون المراد بقوله تعالى (ثلة من الأولين) أى من صدر هذه الأمة (وقليل من الآخرين) أى من هذه الأمة . قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عفان حدثنا عبد الله بن بكر المزنى سمعت الحسن أتى على هذه الآية (والسابقون السابقون * أولئك المقربون) فقال أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين. ثم قال حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد حدثنا السرى بن يحيى قال قرأ الحسن (والسابقون السابقون * أولئك المقربون فى جنات النعيم * ثلة من الأولين) قال ثلة ممن مضى من هذه الأمة ، وحدثنا أبى حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقرى حدثنا أبو هلال عن محمد بن سيرين أنه قال فى هذه الآية (ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين) قال كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة ، ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها ولهذا ثبت فى الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث بتمامه . فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زياد أبو عمر عن الحسن عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره» فهذا الحديث بعد الحكم بصحة إسناده محمول على أن الدين كما هو محتاج

إلى أول الأمة فى إبلاغه إلى من بعدهم كذلك هو محتاج إلى القائمين به فى أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها والفضل للمتقدم ، وكذلك الزرع هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثانى ولكن العمدة الكبرى على الأول واحتياج الزرع إليه آكد فانه لولاه مانبت فى الأرض ولا تعلق أساسه فيها ولهذا قال عليه السلام « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ولامن خالفهم إلى قيام الساعة » وفى لفظ « حتى يأتى أمرالله تعالى وهم كذلك » والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن فى هذه الأمة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وفى لفظ « مع كل ألف سبعون ألفا - وفى آخر - مع كل واحد سبعون ألفا » وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا هشام بن يزيد الطبرانى حدثنا محمد هو ابن اسماعيل بن عياش حدثنى أبى حدثنى ضمضم يعنى ابن زرعة عن شريح هو ابن عبيد عن أبى مالك قال : قال رسول الله ﷺ « أما والذى نفسى بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض تقول الملائكة لما جاء مع محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما جاء مع الأنبياء عليهم السلام » وحسن أن يذكر ههنا عند قوله تعالى (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة حيث قال أخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مطر أخبرنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابى حدثنى أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبدالله بن مسرح الحرانى حدثنا سليمان ابن عطاء القرشى الحرانى عن مسلم بن عبدالله الجهنى عن عمه أبى مشجعة بن ربعى عن أبى زمل الجهنى رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يقول وهو ثان رجليه « سبحان الله وبحمده استغفر الله إن الله كان توابا » سبعين مرة ثم يقول « سبعين بسبعمائة لاخير لمن كانت ذنوبه فى يوم واحد أكثر من سبعمائة » ثم يقول ذلك مرتين ثم يستقبل الناس بوجهه وكان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا ثم يقول « هل رأى أحد منكم شيئا ؟ » قال أبو زمل فقلت أنا يارسول الله فقال « خير تلقاه ، وشر توقاه ، وخير لنا ، وشر على أعدائنا الحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك » فقلت رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لاحب والناس على الجادة منطلقين فبيناهم كذلك إذ أشفى ذلك الطريق على مرج لم ترعينى مثله يرف رفيفا يقطر ماؤه فيه من أنواع الكلأ قال وكانوا بالرعلة الأولى حين أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم فى الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا قال فكأنى أنظر اليهم منطلقين : ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافا فلما أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم فى الطريق فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل كأنى أنظر اليهم يميلون يمينا وشمالا ، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى آتى أقصى المرج ، فإذا أنا بك يارسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت فى أعلاها درجة ، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل أفنى إذا هو تكلم يسمو فيقرع الرجال طولا ، وإذا عن يسارك رجل ربعة باز كثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء إذا هو تكلم أصغيتم إكراما له ، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها كلكم تأمونه تريدونه وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف ، وإذا أنت يارسول الله كأنك تبعثها قال فامتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سرى عنه ، وقال رسول الله ﷺ « أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب فذاك ما حملتكم عليه من الهدى وأنتم عليه ، وأما المرج الذى رأيت فالدنيا وغدارة عيشها مضيت أنا وأصحابى لم تتعلق منها بشىء ولم تتعلق منا ولم نردها ولم تردنا ، ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافا فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ونجوا على ذلك ، ثم جاء عظم الناس فمالوا فى المرج يمينا وشمالا فإنا لله وإنا إليه راجعون . وأما أنت فمضيت على طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقانى ، وأما المنبر الذى رأيت فيه سبع درجات وأنا فى أعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة أنا فى آخرها ألفا وأما الرجل الذى رأيت على يمينى الآدم الشثل فذلك موسى عليه السلام إذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه ، والذى رأيت عن يسارى الباز الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حمم

شعره بالماء فذلك عيسى بن مريم نكرمه لإكرام الله إياه ، وأما الشيخ الذى رأيت أشبه الناس بى خلقا ووجها فذاك أبونا إبراهيم كلنا نؤمه ونقتدى به ، وأما الناقة التى رأيت ورأيتنى أبغيها فهى الساعة علينا تقوم لانبى بعدى ولا أمة بعد أمتى » قال فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجىء الرجل فيحدثه بها متبرعا وقوله تعالى (على سرر موضونة) قال ابن عباس أى مرمولة بالذهب يعنى منسوجة به وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره ، وقال السدى مرمولة بالذهب واللؤلؤ وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت ، وقال ابن جرير ومنه يسمى وضين الناقة الذى تحت بطنها وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مضفور وكذلك السرر فى الجنة مضفورة بالذهب واللالىء

وقوله تعالى (متكئين عليها متقابلين) أى وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد (يطوف عليهم ولدان مخلدون) أى مخلدون على صفة واحدة لايتكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون (بأكواب وأباريق وكأس من معين) أما الأكواب فهى الكيزان التى لاخراطيم لها ولا آذان ، والأباريق التى جمعت الوصفين والكئوس الهنابات والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة وقوله تعالى (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) أى لاتصدع رءوسهم ولا تنزف عقولهم بل هى ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة ، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال فى الخمر أربع خصال السكر ؛ والصداع ، والقىء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال . وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطية وقتادة والسدى (لايصدعون عنها) يقول ليس لهم فيها صداع رأس وقالوا فى قوله (ولا ينزفون) أى لا تذهب بعقولهم وقوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون) أى ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذى رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى رحمه الله فى مسنده حدثنا العباس بن الوليد الترسى حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبى سومة حدثنا عبيد الله بن عكراش عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال : بعثنى مرة فى صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار وقدمت عليه بإبل كأنها عروق الأرطى قال « من الرجل ؟ » قلت عكراش بن ذؤيب ، قال « ارفع فى النسب » فانتسبت له إلى مرة بن عبيد وهذه صدقة مرة بن عبيد فتبسم رسول الله ﷺ وقال « هذه إبل قومى هذه صدقات قومى » ثم أمر بها أن توسم بميسم إبل الصدقة وتضم اليها ثم أخذ بيدى فانطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال « هل من طعام ؟ » فأتينا بجفنة كالقصعة كثيرة الثريد والوذر فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدى فى جوانبها فقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدى اليمنى فقال ياعكراش : كل من موضع واحد فانه طعام واحد . ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب شك عبيد الله رطبا كان أو تمرا فجعلت آكل من بين يدى وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق وقال ياعكراش : كل من حيث شئت فانه غير لون واحد . ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثا ثم قال : ياعكراش هذا الوضوء مما غيرت النار . وهكذا رواه الترمذى مطولا وابن ماجه جميعا عن محمد بن بشار عن أبى الهذيل العلاء بن الفضل به وقال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من حديثه وقال الإمام أحمد حدثنا بهز بن أسد وعفان ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا شيبان قالوا حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال : قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه فاذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه فأتته امرأة فقالت يارسول الله رأيت كأنى أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة فنظرت فاذا فلان بن فلان وفلان ابن فلان فسمت اثنى عشر رجلا كان النبى ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجىء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيذخ قال فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسره ماشاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم فجاء

البشير من تلك السرية فقال ما كان من رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلا فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال : قصى رؤياك . فقصتها وجعلت تقول فجيء بفلان وفلان كما قال . هذا لفظ أبي يعلى قال الحافظ الضياء وهذا على شرط مسلم »

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا على بن المديني حدثنا ريحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى » . وقوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) قال الإمام أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر ابن سليمان الضبعي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة » فقال أبو بكر يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة فقال « آكلها أنعم منها - قالها ثلاثا - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » انفرد به أحمد من هذا الوجه . وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة من حديث إسماعيل بن على الخطمي عن أحمد بن على الحيوطي عن عبد الجبار بن عاصم عن عبد الله بن زياد عن زرعة عن نافع عن ابن عمر قال : ذكرت عند النبي ﷺ طوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى ؟ » قال الله ورسوله أعلم قال « طوبى شجرة في الجنة ما يعلم طولها إلا الله يسير الراكب تحت غصن من أغطانها سبعين خريفا ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت » فقال أبو بكر يا رسول الله إن هناك لطيرا ناعما ؟ قال « أنعم منه من يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى » وقال قتادة في قوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) وذكر لنا أن أبا بكر قال يا رسول الله إني أرى طيرها ناعمة كأهلها ناعمون ، قال « من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وإنها لأمثال البخت وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر » . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني مجاهد بن موسى حدثنا معن بن عيسى حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكوثر فقال « نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر » فقال عمر إنها لناعمة ، قال رسول الله ﷺ « آكلها أنعم منها » وكذا رواه الترمذي عن عبد ابن حميد عن القعنبي عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أبيه : وقال حسن عن أنس . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا على بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض فيخرج من كل ريشة يعني لونا أبيض من اللبن واللين من الزبد وأعذب من الشهد ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير » هذا حديث غريب جدا والوصافي وشيخه ضعيفان ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حازم عن عطاء عن كعب قال : إن طائر الجنة أمثال البخت يأكل من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة فيصطفق له فإذا اشتهى منها شيئا أتى حتى يقع بين يديه فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء ؛ صحيح إلى كعب وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا » وقوله تعالى (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) قرأ بعضهم بالرفع وتقديره ولهم فيها حور عين وقراءة الجر تحتمل معنيين أحدهما أن يكون الإعراب على الاتباع بما قبله كقوله تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين) كما قال تعالى (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم) وكما قال تعالى (عالهم ثياب من سندس خضر وإستبرق) والاحتمال الثاني أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ولكن يكون ذلك في القصور لا بين بعضهم بعضا ، بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين والله أعلم . وقوله تعالى (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم في سورة الصفات (كأنهن بيض مكنون) وقد تقدم في سورة

الرحمن وصفهن أيضا ولهذا قال (جزاء بما كانوا يعملون) أى هذا الذى أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل ثم قال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) أى لا يسمعون فى الجنة كلاما لاغيا أى عبثا خاليا عن المعنى أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف كما قال (لا تسمع فيها لاغية) أى كلمة لاغية (ولا تأثيما) أى ولا كلاما فيه قبح (إلا قيلا سلاما سلاما) أى إلا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى (تحيتهم فيها سلام) وكلامهم أيضا سالم من اللغو والاثم

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) أى أى شىء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مآلهم . ثم فسر ذلك فقال تعالى (فى سدر مخضود) قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو الأحوص وقسامة بن زهير والسفر بن قيس والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدى وأبو حزرة وغيرهم هو الذى لاشوك فيه ، وعن ابن عباس هو الموقر بالثمر وهو رواية عن عكرمة ومجاهد وكذا قال قتادة أيضا كنا نحدث أنه الموقر الذى لا شوك فيه ، والظاهر أن المراد هذا وهذا فان سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر وفى الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذى قد أثقل أصله كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجار حدثنا عبد الله بن محمد هو البغوى حدثنى حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليم ابن عامر قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم قال أقبل أعرابى يوما فقال يا رسول الله ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله ﷺ « وما هى ؟ » قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله ﷺ « أليس الله تعالى يقول (فى سدر مخضود) خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها لتنبت ثمرا تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر » . ﴿ طريق آخر ﴾ قال أبو بكر بن أبى داود حدثنا محمد بن المصفى حدثنا محمد بن المبارك حدثنى يحيى بن حمزة حدثنى ثور بن يزيد حدثنى حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمى قال : كنت جالسا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابى فقال يارسول الله أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجراً أكثر شوكا منها يعنى الطلح فقال رسول الله ﷺ « إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون الآخر » وقوله (وطلح منضود) الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاه واحدته طلحة وهو شجر كثير الشوك وانشد ابن جرير لبعض الحداة

بشرها دليلها وقالا * غدا ترين الطلح والجبالا

وقال مجاهد (منضود) أى متراكم الثمر يذكر بذلك قريشاً لأنهم كانوا يعجبون من وج وظلاله من طلح وسدر وقال السدى منضود مصفود قال ابن عباس يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل ، قال الجوهرى والطلح لغة فى الطلع ﴿ قلت ﴾ وقد روى ابن أبى حاتم من حديث الحسن بن سعد عن شيخ من همدان قال سمعت عليا يقول هذا الحرف فى طلح منضود قال طلع منضود فعلى هذا يكون من صفة السدر فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذى لا شوك له وأن طلعه منضود وهو كثرة ثمره والله أعلم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو معاوية عن إدريس عن جعفر بن إياس عن أبى نضرة عن أبى سعيد (وطلح منضود) قال الموز ، قال وروى عن ابن عباس وأبى هريرة والحسن

وعكرمة وقسامة بن زهير وقتادة وأبي حزرة مثل ذلك وبه قال مجاهد وابن زيد وزاد فقال أهل اليمن يسمون الموز الطلح ولم يحك ابن جرير غير هذا القول وقوله تعالى (وظل ممدود) قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) » ورواه مسلم من حديث الأعرج به . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة : قال قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) » وكذا رواه مسلم من حديث الأعرج به وكذا رواه البخاري عن محمد بن سفيان عن فليح به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة وكذا رواه حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة والليث بن سعد عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة وعوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة به وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا حدثنا شعبة سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين ـ أو مائة ـ سنة هي شجرة الخلد » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد ابن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها واقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) » إسناد جيد ولم يخرجوه وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن عبدة وعبد الرحيم والبخاري كلهم عن محمد بن عمرو به وقد رواه الترمذي من حديث عبد الرحيم بن سليمان به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن أبي هريرة قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا إن شئتم (وظل ممدود) فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما إن الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (وظل ممدود) قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وكذا رواه البخاري عن روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع ، وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران بن داود القطان عن قتادة به وكذا رواه معمر وأبو هلال عن قتادة به وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها » فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله ، وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا أبو حصين قال : كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني الضبي فحدث أبو صالح قال حدثني أبو هريرة قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما ، قال أبو صالح أتكذب أبا هرير ؟ قال ما أكذب أبا هرير ولكني أكذبك أنت فشق ذلك على القراء يومئذ . ﴿ قلت ﴾ فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعه إلى رسول الله ﷺ . وقال الترمذي حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز عن أبيه عن جده عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » ثم قال حسن غريب . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا أبو عامر العقدي عن زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام قال فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها ، قال فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك

تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا . هذا أثر غريب وإسناده جيد قوى حسن : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن يمان حدثنا أبو سفيان حدثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون فى قوله تعالى (وظل ممدود) قال سبعون ألف سنة وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدى عن سفيان مثله ، ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبى أسحاق عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال خمسمائة ألف سنة

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الوليد الطيالسى حدثنا حصين بن نافع عن الحسن فى قول الله تعالى (وظل ممدود) قال فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة لا يقطعها وقال عوف عن الحسن بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها » رواه ابن جرير وقال شبيب عن عكرمة عن ابن عباس فى الجنة شجر لا يحمل يستظل به رواه ابن أبى حاتم ، وقال الضحاك والسدى وأبو حزرة فى قوله تعالى (وظل ممدود) لا ينقطع ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر ، وقال ابن مسعود الجنة سجسج كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقد تقدمت الآيات كقوله تعالى (وندخلهم ظلا ظليلا) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (فى ظلال وعيون) إلى غير ذلك من الآيات . وقوله تعالى (وماء مسكوب) قال الثورى يجرى فى غير أخدود وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى (فيها أنهار من ماء غير آسن) الآية بما أغنى عن إعادته ههنا

وقوله تعالى (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) أى وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة فى الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها) أى يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم غير الطعم ، وفى الصحيحين فى ذكر سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر ، وفيهما أيضا من حديث مالك عن زيد عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة ، وفيه قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيئا فى مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت قال إنى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا أبو عقيل عن جابر قال بينا نحن فى صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب يارسول الله صنعت اليوم فى الصلاة شيئا ما كنت تصنعه قال : « انه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه وروى مسلم من حديث أبى الزبير عن جابر نحوه

وقال الإمام أحمد حدثنا على بن بحر حدثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن أبى يحيى بن أبى كثير عن عامر ابن زيد البكالى أنه سمع عتبة بن عبد السلمى يقول جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابى فيها فاكهة . قال : نعم وفيها شجرة تدعى طوبى . قال فذكر شيئا لا أدرى ما هو قال أى شجر أرضنا تشبه ؟ قال : ليست تشبه شيئا من شجر أرضك ؟ فقال النبى ﷺ : أتيت الشام ؟ قال لا قال : تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها . قال ماعظم العنقود ؟ قال . مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يفتر . قال وعظم أصلها ؟ قال : لو ما ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما . قال فيها عنب ؟ قال : نعم قال فما عظم الحبة ؟ قال : هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما قال نعم ، قال : فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال اتخذى لنا منه دلوا ؟ . قال نعم قال الأعرابى فان تلك الحبة لتشبعنى وأهل بيتى ؟ قال : نعم وعامة عشيرتك . وقوله تعالى (لامقطوعة ولا ممنوعة) أى لا تنقطع شتاء ولا صيفا بل أكلها دائم مستمر أبدا مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شىء وقال قتادة لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد وقد تقدم فى الحديث إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى . وقوله تعالى (وفرش مرفوعة) أى عالية وطيئة ناعمة قال النسائى وأبو عيسى الترمذى حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمر بن الحارث عن دراج عن

أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وفرش مرفوعة) قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قال وقال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض هكذا قال إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد وهو المصري وهو ضعيف هكذا رواه أبو جعفر بن جرير عن أبي كريب عن رشدين به

ثم رواه هو وابن أبي حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمر بن الحارث فذكره، وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا عن نعيم بن حماد عن ابن وهب وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرملة عن ابن وهب به مثله ورواه الإمام احمد عن حسن عن موسى عن ابن لهيعة حدثنا دراج فذكره . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو معاوية عن جويبر عن أبي سهل يعني كثير بن زياد عن الحسن (وفرش مرفوعة) قال ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة . وقوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارا عربا أترابا * لأصحاب اليمين) جرى الضمير على غير مذكور . لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجعن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن كما في قوله تعالى (إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس على المشهور من قولي المفسرين وقال الاخفش في قوله تعالى (إنا أنشأناهن) أضمرهن ولم يذكرن قبل ذلك وقال أبو عبيدة ذكرن في قوله تعالى (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) فقوله تعالى (إنا أنشأناهن) أي أعدناهن في النشأة الأخرى بعد ما كن عجائز رمصا رن أبكارا عربا أي بعد الثيوبة عدن أبكارا عربا متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة . وقال بعضهم عربا أي غنجات قال موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إنا أنشأناهن إنشاء قال نساء عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا » رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال الترمذي غريب وموسى ويزيد ضعيفان وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا آدم يعني ابن أبي اياس حدثنا شيبان عن جابر عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء) يعني الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا وقال عبد بن حميد حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال « يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز » قال فولت تبكي قال أخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول (إنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا) وهكذا رواه الترمذي في الشمائل عن عبد بن حميد وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا بكر بن سهل الدمياطي حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي أخبرنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله تعالى (حور عين) قال « حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت أخبرني عن قوله تعالى (كأمثال اللؤلؤ المكنون) قال « صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي » قلت أخبرني عن قوله (فيهن خيرات حسان) قال « خيرات الأخلاق حسان الوجوه » قلت أخبرني عن قوله (كأنهن بيض مكنون) قال « رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقيء » قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله (عربا أترابا) قال « هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات محببات أترابا على ميلاد واحد » قلت يارسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين « قال بل نساء لدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » قلت يا رسول الله وبم ذاك ؟ قال « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عزوجل . ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير . بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر ومشاطهن الذهب : يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس ابدا ونحن المقيمات فلا نظعن ابدا ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان

لنا » قلت يا رسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال « يا أم سلمة إنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول يارب إن هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشىء الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجا من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة يعني وكبدها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها إلا أنه لا منى ولا منية فبينما هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أن لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك ، وما في في الجنة شيء أحب إلى منك . وقال عبدالله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له أنطأ في الجنة ؟ قال « نعم : والذي نفسي بيده دحما دحما فاذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً » وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا » وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا عمران عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء قلت يا رسول الله ويطيق ذلك ؟ قال يعطى قوة مائة » ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال صحيح غريب : وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة قال « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء » قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي هذا الحديث عندي على شرط الصحيح والله أعلم . وقوله (عربا) قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني متحببات إلى أزواجهن ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك ، وقال الضحاك عن ابن عباس العرب العواشق لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون وكذا قال عبد الله بن سرجس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية ويحيى بن أبي كثير وعطية والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، وقال ثور بن يزيد عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله (عربا) قال هي الملقة لزوجها وقال شعبة عن سماك عن عكرمة هي الغنجة : وقال الأجلح بن عبد الله عن عكرمة هي الشكلة ، وقال صالح بن حسان عن عبد الله بن بريدة في قوله (عربا) قال الشكلة بلغة أهل مكة والغنجة بلغة أهل المدينه ، وقال تميم بن حذلم هي حسن التبعل . وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن : العرب حسنات الكلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « عربا - قال - كلامهن عربي » وقوله (أترابا) قال الضحاك عن ابن عباس يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة ، وقال مجاهد: الأتراب المستويات ، وفي رواية عنه الأمثال ؛ وقال عطية الأقران وقال السدي (أترابا) أي في الأخلاق المتواخيات بينهن ليس بينهن تباغض ولا تحاسد يعني لا كما كن ضرائر متعاديات وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الكهف عن الحسن ومحمد (عربا أترابا) قالا المستويات الأسنان يأتلفن جميعا ويلعبن جميعا وقد روى أبو عيسى الترمذي عن أحمد بن منيع عن أبي معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق بمثلها - قال - يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس

ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له » ثم قال هذا حديث غريب . وقال الحافظ أبو يعلى أخبرنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن فلان عبدالله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إن الحور العين ليغنين فى الجنة يقلن نحن خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام » قلت اسماعيل بن عمر هذا هو أبو المنذر الواسطى أحد الثقات الأثبات . وقد روى هذا الحديث الإمام عبدالرحيم بن إبراهيم الملقب بدحيم عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب بن عبدالله بن رافع عن ابن لأنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الحور العين يغنين فى الجنة نحن الحور الحسان خلقنا لأزواج كرام » وقوله تعالى (لأصحاب اليمين) أى خلقنا لأصحاب اليمين أو ادخرن لأصحاب اليمين أو زوجن لأصحاب اليمين والأظهر أنه متعلق بقوله (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين) فتقديره أنشأناهن لأصحاب اليمين وهـذا توجيه ابن جرير

وروى عن أبي سليمان الدارانى رحمه الله قال صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديدا فجعلت أدعو بيد واحدة فأخذتنى عينى فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلها وهى تقول يا أباسليمان أتدعو بيد واحـدة وأنا أغذى لك فى النعيم منذ خمسمائة سنة . قلت ويحتمل أن يكون قوله (لأصحاب اليمين) متعلقا بماقبله وهوقوله (أترابا لأصحاب اليمين) أى فى أسنانهم ، كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشـد كوكب درى فى السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة . وروى الطبرانى واللفظ له من حديث حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهـل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع » . وروى الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى عن عمران القطان عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال « يدخل أهـل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين بنى ثلاث وثلاثين سنة » ثم قال حسن غريب . وقال ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهـل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاث وثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهـل النار » ورواه الترمذى عن سويد ابن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث به . وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا القاسم ابن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلانى حدثنا الأوزاعى عن هارون بن ذئاب عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك ! على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون » وقال أبو بكر بن أبى داود حدثنا محمد بن خالد وعباس بن الوليد قالا حدثنا عمر عن الأوزاعى عن هارون بن ذئاب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين جردا مردا مكحلين . ثم يذهب بهم إلى شجرة فى الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » . وقوله تعالى (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أى جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران ابن حصين عن عبد الله بن مسعود قال وكان بعضهم يأخـذ عن بعض قال أكربنا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه فقال « عرضت علىّ الأنبياء وأتباعها بأممها فيمر على النبى والنبى فى العصابة ! والنبى فى الثلاثة

والنبي وليس معه أحد - وتلا قتادة هذه الآية (أليس منكم رجل رشيد) قال - حتى مر على موسى بن عمران فى كبكبة من بنى إسرائيل قال : قلت ربى من هذا ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بنى إسرائيل ! قال قلت رب فأين أمتى؟ قال انظر عن يمينك فى الضراب قال فاذا وجوه الرجال قال: قال أرضيت ؟ قال قلت قد رضيت رب . قال انظر إلى الأفق عن يسارك فاذا وجوه الرجال قال: أرضيت ؟ قلت قد رضيت رب قال فان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » قال وأنشأ عكاشة بن محصن من بنى أسد قال سعيد وكان بدريا قال يانبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال: فقال « اللهم اجعله منهم » قال أنشأ رجل آخر قال يانبى الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال : فقال رسول الله ﷺ فان استطعتم فداكم أبى وأمى أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا وإلا فكونوا من أصحاب الضراب وإلا فكونوا من أصحاب الأفق فانى قد رأيت ناسا كثيرا قد ناشبوا أحوالهم - ثم قال - إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبرنا ثم قال « إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » قال فكبرنا قال « إنى لأرجوا أن تكونو نصف أهل الجنة » قال فكبرنا قال ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال فقلنا بيننا من هؤلاء السبعون ألفا فقلنا هم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا قال فبلغه ذلك فقال « بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذ الوجه فى الصحاح وغيرها قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن أبان بن أبى عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين) قال : قال رسول الله ﷺ « هما جميعا من أمتى »

﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) أى أى شىء هم فيه أصحاب الشمال ؟ ثم فسر ذلك فقال (فى سموم) وهو الهواء الحار (وحميم) وهو الماء الحار (وظل من يحموم) قال ابن عباس ظل الدخان وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدى وغيرهم وهذه كقوله تعالى (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولا يغنى من اللهب * إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر * ويل يومئذ للمكذبين) ولهذا قال ههنا (وظل من يحموم) وهو الدخان الأسود (لابارد ولا كريم) أى ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر كما قال الحسن وقتادة(ولا كريم) أى ولا كريم المنظر وقال الضحاك كل شراب ليس بعذب فليس بكريم

وقال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة فى النفى فيقولون هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم . وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة وكذا. رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) أى كانوا فى الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لايلوون على ماجاءتهم به الرسل (وكانوا يصرون) أى يقيمون ولا ينوون توبة (على الحنث العظيم) وهو

الكفر بالله وجعل الأوثان والأنداد أربابا من دون الله . قال ابن عباس الحنث العظيم : الشرك . وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم ، وقال الشعبي هو اليمين الغموس (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ؟) يعنى أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه قال الله تعالى (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أى أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بنى آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر منهم أحد كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد) ولهذا قال ههنا (لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أى هو موقت بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون) وذلك أنهم يقبضون ويسحرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم (فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم) وهى الابل العطاش واحدها أهيم والأنثى هيماء ويقال هائم وهائمة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة :الهيم الابل العطاش الظماء . وعن عكرمة أنه قال الهيم الابل المراض تمص الماء مصا ولا تروى : وقال السدى الهيم داء يأخذ الابل فلا تروى أبدا حتى تموت فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدا . وعن خالد بن معدان أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم غبة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثا ثم قال تعالى (هذا نزلهم يوم الدين) أى هذا الذى وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم كما قال تعالى فى حق المؤمنين (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) أى ضيافة وكرامة .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى مقررا للمعاد . ورادا على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد . من الذين قالوا (أئذ متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ؟) وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد . فقال تعالى (نحن خلقناكم) أى نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا أفليس الذى قدر على البداءة بقادر على الاعادة بطريق الأولى والأحرى ؟ ولهذا قال (فلولا تصدقون ؟) أى فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال تعالى مستدلا عليهم بقوله (أفرأيتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟) أى أنتم تقرونه فى الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) أى صرفناه بينكم وقال الضحاك ساوى فيه بين أهل السماء والأرض (وما نحن بمسبوقين) أى وما نحن بعاجزين (على أن نبدل أمثالكم) أى نغير خلقكم يوم القيامة (وننشئكم فيما لا تعلمون) أى من الصفات والأحوال . ثم قال تعالى (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون) أى قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذى قدر على هذه النشأة وهى البداءة قادر على النشأة الأخرى وهى الاعادة بطريق الأولى والأحرى كما قال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقال تعالى (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ! * قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقال تعالى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى ! ألم يك نطفة من منى يمنى ؟ ثم كان علقة فخلق سوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟)

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ * لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ * ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ * نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى (أفرأيتم ما تحرثون ؟) وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها (أأنتم تزرعونه ؟) أى تنبتونه فى الأرض (أم نحن الزارعون :) أى بل نحن الذى نقره قراره وننبته فى الأرض . قال ابن جرير حدثنى أحمد بن الوليد القرشى حدثنا مسلم بن أبى مسلم الجرمى حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن محمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت » قال أبو هريرة ألم تسمع إلى قوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟) ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم الجرمى به وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن عطاء عن أبى عبد الرحمن : لا تقولوا زرعنا ولكن قولوا حرثنا . وروى عن حجر المدرى أنه كان إذا قرأ (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) وأمثالها يقول بل أنت يا رب . وقوله تعالى (لو نشاء لجعلناه حطاما) أى نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم و لو نشاء لجعلناه حطاما أى لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده (فظلتم تفكهون) ثم فسر ذلك بقوله (إنا لمغرمون * بل نحن محرومون) أى لو جعلناه حطاما لظللتم تفكهون فى المقاله تنوعون كلامكم فتقولون تارة إنا لمغرمون أى لملقون وقال مجاهد وعكرمة إنا لمولع بنا وقال قتادة معذبون وتارة تقولون بل نحن محرومون . وقال مجاهد أيضا إنا لمغرمون ملقون للشر أى بل نحن محارفون قاله قتادة أى لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح وقال مجاهد بل نحن محرومون أى مجدودون يعنى لا حظ لنا وقال ابن عباس ومجاهد (فظلتم تفكهون) تعجبون وقال مجاهد أيضا فظلتم تفكهون تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهذا يرجع إلى الأول وهو التعجب من السبب الذى من أجله أصيبوا فى مالهم وهذا اختيار ابن جرير . وقال عكرمة فظلتم تفكهون تلاومون وقال الحسن وقتادة والسدى فظلتم تفكهون تندمون ومعناه إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب قال الكسائى تفكه من الأضداد تقول العرب تفكهت بمعنى تنعمت وتفكهت بمعنى حزنت . ثم قال تعالى (أفرأيتم الماء الذى تشربون * أأنتم انزلتموه من المزن) يعنى السحاب قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد (أم نحن المنزلون) يقول بل نحن المنزلون (لو نشاء جعلناه أجاجا) أى زعاقا مرا لا يصلح لشرب ولا زرع (فلولا تشكرون) أى فهلا تشكرون نعمة الله عليكم فى إنزاله المطر عليكم عذبا زلالا (لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون). وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عثمان بن سعيد ابن مرة حدثنا فضيل بن مرزوق عن جابر عن أبى جعفر عن النبى ﷺ أنه كان إذا شرب الماء قال « الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا » : ثم قال (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها (أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) أى بل نحن الذين جعلناها مودعة فى موضعها وللعرب شجرتان ﴿ إحداهما ﴾ المرخ ﴿ والأخرى ﴾ العفار إذا أخذ منهما غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار . وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) قال مجاهد وقتادة أى تذكر النار الكبرى قال قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال « يا قوم ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم » قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية : قال « إنها قد ضربت بالبحر ضربتين - أو مرتين - حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها » وهذا الذى أرسله

قتادة قد رواه الإمام أحمد فى مسنده فقال حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءمن نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ماجعل اللهفيهامنفعة لأحد » وقال الإمام مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم » فقالوا يارسول الله إن كانت لكافية فقال « إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا » رواه البخارى من حديث مالك ومسلم من حديث أبى الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة به وفى لفظ « والذى نفسى بيده لقدفضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها » وقد قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عمرو الحلال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا معن بن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبى سهل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهى أشد سوادا من ناركم هذه بسبعين ضعفا » قال الضياء المقدسى وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه وهو عندى على شرط الصحيح . وقوله تعالى (ومتاعا للمقوين) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربى يعنى بالمقوين المسافرين واختاره ابن جرير وقال ومنه قولهم أقوت الدار إذا رحل أهلها وقال غيره القى والقواء القفر الخالى البعيد من العمران وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المقوى ههنا الجائع وقال ليث ابن أبى سليم عن مجاهد ومتاعا للمقوين للحاضر والمسافر لكل طعام لايصلحه إلا النار وكذا روى سفيان عن جابر الجعفى عن مجاهد وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله للمقوين يعنى المستمتعين من الناس أجمعين وكذا ذكر عن عكرمة وهذا التفسير أعم من غيره فان الحاضر والبادى من غنى وفقير الجميع محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والاضاءة وغير ذلك من المنافع ثم من لطف الله تعالى أن أودعها فى الأحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك فى متاعه وبين ثيابه فاذا احتاج إلى ذلك فى منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فاطبخ بهاواصطلى بها واشتوى واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات فلهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاما فى حق الناس كلهم ! وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبى خداش حبان بن زيد الشرعبى الشامى عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلمون شركاء فى ثلاثة : النار والكلأ والماء » وروى ابن ماجه باسناد جيد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لايمنعن : الماء والكلأ والنار » وله من حديث ابن عباس مرفوعا مثل هذا وزيادة وثمنه ولكن فى إسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف والله أعلم وقوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أى الذى بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحا أجاجا كالبحار المغرقة وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم فى معاش دنياهم وزجرا لهم فى المعاد

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾

قال جويبر عن الضحاك : إن الله تعالى لايقسم بشىء من خلقه ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه وهذا القول ضعيف والذى عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته . ثم قال بعض المفسرين لاههنا زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير ويكون جوابه (إنه لقرآن كريم) وقال آخرون ليست لازائدة لا معنى لها بل يؤتى بها فى أول القسم إذا كان مقسما به على منفى كقول عائشة رضى الله عنها : لا والله مامست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط ، وهكذا ههنا تقدير الكلام لا أقسم بمواقع النجوم

ليس الأمر كما زعمتم فى القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم . وقال ابن جرير وقال بعض أهل العربية معنى قوله (فلا أقسم) فليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد ذلك فقيل أقسم . واختلفوا فى معنى قوله (بمواقع النجوم) فقال حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يعنى نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا فى السنين بعد . ثم قرأ ابن عباس هذه الآية وقال الضحاك عن ابن عباس نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فهو قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم) نجوم القرآن ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدى وأبو حزرة وقال مجاهد أيضا مواقع النجوم فى السماء ويقال مطالعها ومشارقها . وكذا قال الحسن وقتادة وهو اختيار ابن جرير وعن قتادة مواقعها منازلها . وعن الحسن أيضا أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة وقال الضحاك (فلا أقسم بمواقع النجوم) يعنى بذلك الأنواء التى كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا . وقوله (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) أى وان هذا القسم الذى أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه (إنه لقرآن كريم) أى ان هذا القرآن الذى نزل على محمد لكتاب عظيم (فى كتاب مكنون) أى معظم فى كتاب معظم محفوظ موقر وقال ابن جرير حدثنى موسى بن إسماعيل أخبرنا شريك عن حكيم هو ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لا يمسه إلا المطهرون) قال الكتاب الذى فى السماء . وقال العوفى عن ابن عباس (لا يمسه إلا المطهرون) يعنى الملائكة ، وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو نهيك والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور حدثنا معمر عن قتادة (لا يمسه إلا المطهرون) قال لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما فى الدنيا فإنه يمسه المجوسى النجس ، والمنافق الرجس ، وقال وهى فى قراءة ابن مسعود ما يمسه إلا المطهرون وقال أبو العالية (لا يمسه إلا المطهرون) ليس أنتم أنتم أصحاب الذنوب وقال ابن زيد زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون) وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الأقوال التى قبله وقال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به . وقال آخرون (لا يمسه إلا المطهرون) أى من الجنابة والحدث قالوا ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب قالوا والمراد بالقرآن ههنا المصحف كما روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو . واحتجوا فى ذلك بما رواه الإمام مالك فى موطئه عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر . وروى أبو داود فى المراسيل من حديث الزهرى قال قرأت فى صحيفة عبد أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ولا يمس القرآن إلا طاهر » وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهرى وغيره ومثل هذا ينبغى الأخذ به وقد أسنده الدار قطنى عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبى العاصم وفى إسناد كل منهما نظر والله أعلم : وقوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) أى هذ القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر بل هو الحق الذى لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع ، وقوله تعالى (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) قال العوفى عن ابن عباس أى مكذبون غير مصدقين ، وكذا قال الضحاك وأبو حزرة والسدى ، وقال مجاهد (مدهنون) أى تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا اليهم (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال بعضهم معنى وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكذبون أى تكذبون بدل الشكر ، وقد روى عن على وابن عباس أنهما قرآها (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) كما سيأتى ، وقال ابن جرير وقد ذكر عن الهيثم بن عدى أن من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان بمعنى شكر فلان : وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن أبى عبد الرحمن عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم « وتجعلون رزقكم يقول شكركم أنكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا » وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مخول بن إبراهيم النهدي وابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبيد الله بن موسى وعن يعقوب بن إبراهيم عن يحيى بن أبي بكير ثلاثتهم عن اسرائيل به مرفوعا، وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن حسين بن محمد وهو المروزي به وقال حسن غريب وقد رواه سفيان الثوري عن عبد الأعلى ولم يرفعه . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . وقرأ ابن عباس (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وقال مالك في الموطأ عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم » قالوا الله ورسوله أعلم قال : « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب » أخرجاه في الصحيحين وأبو داود والنسائي كلهم من حديث مالك به . وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمرو بن سواد حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا » انفرد به مسلم من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا » قال محمد هو ابن إبراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال ونحن قد سمعنا من أبي هريرة وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي فلما استسقى التفت إلى العباس فقال يا عباس يا عم رسول الله كم أبقى من نوء الثريا فقال العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا قال فما مضت سابعة حتى مطروا وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بانزال المطر لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزل المطر فان هذا هو المنهي عن اعتقاده وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها)

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن إسماعيل بن أمية فيما أحسبه أو غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض عثانين الأسد فقال « كذبت بل هو رزق الله » . ثم قال ابن جرير حدثني أبو صالح الصراري حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأودي حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين — ثم قال — (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا » . وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعا « لو قحط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا مطرنا بنوء المجدع » . وقال مجاهد (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال قولهم في الأنواء مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا يقول قولوا هو من عند الله وهو رزقه وهكذا قال الضحاك وغير واحد وقال قتادة أما الحسن فكان يقول بئس ما أخذتم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب فمعنى قول الحسن هذا وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ولهذا قال قبله (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

يقول تعالى (فلولا إذا بلغت) أي الروح (الحلقوم) أي الحلق وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى (كلا إذا

بلغت التراقى وقيل من راق . وظن أنه الفراق . والتفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذ المساق) ولهذا قال ههنا (وأنتم حينئذ تنظرون) أى إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت (ونحن أقرب إليه منكم) أى بملائكتنا (ولكن لا تبصرون) أى ولكن لا ترونهم كما قال تعالى فى الآية الأخرى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) وقوله تعالى (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها) معناه فهلا ترجعون هذه النفس التى قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد إن كنتم غير مدينين قال ابن عباس يعنى محاسبين وروى عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدى وأبى حزرة مثله

وقال سعيد بن جبير والحسن البصرى (فلولا إن كنتم غير مدينين) غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس وعن مجاهد (غير مدينين) غير موقنين وقال ميمون بن مهران غير معذبين مقهورين

﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

هذه الأحوال الثلاثة هى أحوال الناس عند احتضارهم إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله ولهذا قال تعالى (فأما إن كان) أى المحتضر (من المقربين) وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات (فروح وريحان وجنة نعيم) أى فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم فى حديث البراء إن ملائكة الرحمة تقول : أيتها الروح الطيبة فى الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجى إلى روح وريحان ورب غير غضبان . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (فروح) يقول راحة وريحان يقول مستراحة وكذا قال مجاهد: إن الروح الاستراحة وقال أبو حزرة الراحة من الدنيا وقال سعيد بن جبير والسدى الروح الفرح وعن مجاهد (فروح وريحان) جنة ورخاء وقال قتادة فروح فرحمة وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وريحان ورزق وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة فان من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن (وجنة نعيم) وقال أبو العالية لا يفارق احد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه وقال محمد بن كعب لا يموت احد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم أهل النار ، وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى فى سورة إبراهيم (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) ولو كتبت ههنا لكان حسنا ،وأجلها حديث تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى فلان فائتنى به فانه قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ، ائتنى فلا أريحه ، ـ قال ـ فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنه ومعهم ضبائر الريحان ـ أصل الريحانة واحد ـ وفى رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك » وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية

قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا هارون عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (فروح وريحان) برفع الراء وكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث هارون وهو ابن موسى الأعور به وقال الترمذى لا نعرفه إلا من حديثه وهذه القراءة هى قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقون فقرءوا (فروح وريحان) بفتح الراء

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه سمع درة بنت معاذ تحدث عن أم هانىء أنها سألت رسول الله ﷺ أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يكون النسم طيرا يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس فى جسدها » . هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ، ومعنى يعلق يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضا ما رواه الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى عن الإمام مالك بن أنس عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » . وهذا إسناد عظيم ومتن قويم

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إن أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح فى رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش » الحديث وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا عطاء بن السائب قال كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبى ليلى رأيت شيخا أبيض الرأس واللحية على حمار وهو يتبع جنازة فسمعته يقول حدثنى فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قال فأكب القوم يبكون فقال ما يبكيكم ؟ فقالوا إنا نكره الموت قال ليس ذاك ولكنه إذا احتضر (فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم) فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل والله عز وجل للقائه أحب (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) فإذا بشر بذلك كره لقاء الله والله تعالى للقائه أكره ، هكذا رواه الإمام أحمد ، وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها شاهد لما هناه . وقوله تعالى (وأما إن كان من أصحاب اليمين) أى وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم سلام لك أى لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين . وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن ويكون ذلك كقول الله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم) وقال البخارى (فسلام لك) أى مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألغيت إن وبقى معناها كما تقول أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إنى مسافر عن قليل وقد يكون كالدعاء له كقولك سقيا لك من الرجال إن رفعت السلام فهو من الدعاء وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال إليه والله أعلم . وقوله تعالى (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) أى وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى (فنزل) أى فضيافة (من حميم) وهو المذاب الذى يصهر به ما فى بطونهم والجلود (وتصلية جحيم) أى وتقرير له فى النار التى تغمره من جميع جهاته : ثم قال تعالى (إن هذا لهو حق اليقين) أى إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذى لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه (فسبح باسم ربك العظيم) . قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن أيوب الغافقى حدثنى إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسبح باسم ربك العظيم) قال « اجعلوها فى ركوعكم » ولما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال رسول الله ﷺ « اجعلوها فى سجودكم » وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به ، وقال روح بن عبادة حدثنا حجاج الصواف عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » هكذا رواه الترمذى من حديث روح ورواه هو والنسائى أيضا من حديث حماد ابن سلمة من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم به وقال الترمذى : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبى الزبير وقال البخارى فى آخر كتابه حدثنا أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله

آخر تفسير سورة الواقعة ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الحديد وهى مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثنى بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن ابن أبى بلال عن عرباض بن سارية أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال « إن فيهن آية أفضل من ألف آية وهكذا رواه أبو داود والترمذى والنسائى من طرق عن بقية به وقال الترمذى حسن غريب ورواه النسائى عن ابن أبى السرح عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان قال كان رسول الله ﷺ فذكره مرسلا لم يذكر عبد الله بن أبى بلال ولا العرباض بن سارية ، والآية المشار إليها فى الحديث هى والله أعلم قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) كما سيأتى بيانه قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما فى السموات والأرض أى من الحيوانات والنباتات كما قال فى الآية الأخرى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) وقوله تعالى (وهو العزيز) أى الذى قد خضع له كل شىء (الحكيم) فى خلقه وأمره وشرعه (له ملك السموات والأرض يحيى ويميت) أى هو المالك المتصرف فى خلقه فيحيى ويميت ويعطى من يشاء ما يشاء (وهو على كل شىء قدير) أى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وهذه الآية هى المشار إليها فى حديث عرباض بن سارية أنها أفضل من ألف آية ، وقال أبو داود حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة - يعنى ابن عمار - حدثنا أبو زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شىء أجده فى صدرى ؟ قال ماهو ؟ قلت والله لا أتكلم به قال : فقال لى أشىء من شك ؟ قال وضحك قال ما نجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله تعالى (فان كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك) الآية قال وقال لى إذا وجدت فى نفسك شيئا فقل (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) وقد اختلفت عبارات المفسرين فى هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولا . وقال البخارى قال يحيى : الظاهر على كل شىء علما والباطن على كل شىء علما وقال شيخنا الحافظ المزى يحيى هذا هو ابن زياد الفراء له كتاب سماه معانى القرآن وقد ورد فى ذلك أحاديث فمن ذلك ما قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شىء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن ليس دونك شىء . اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر » ورواه مسلم فى صحيحه حدثنى زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شىء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر . وكان يروى ذلك عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال حدثنا عقبة حدثنا يونس حدثنا السرى بن إسماعيل

عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة فاذا أوى اليه توسد كفه اليمنى ثم همس مايدرى مايقول فاذا كان فى آخر الليل رفع صوته فقال : «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى . أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللهم أنت الأول الذى ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذى ليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر» . السرى بن إسماعيل هذا هو ابن عم الشعبي وهو ضعيف جدا والله أعلم . وقال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد بن حميد وغير واحد لمعنى واحد قالوا حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن أبى هريرة قال بينما نبى الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : هل تدرون ما هذا ؟ . قالوا الله ورسوله أعلم قال : هذا العنان هذه روايا الأرض تسوقه إلى قوم لايشكرونه ولا يدعونه . ثم قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ . قالوا الله ورسوله أعلم قال : فانها الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف . ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : بينكم وبينها خمسمائة سنة . ثم قال : هل تدرون مافوق ذلك . قالوا الله ورسوله أعلم قال فان فوق ذلك سماء بعد مابينهما مسيرة خمسمائة سنة — حتى عد سبع سموات — ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال : فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بعد مابين السماءين ، ثم قال هل تدرون ما الذى تحتكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإنها الأرض . ثم قال : هل تدرون ما الذى تحت ذلك . قالوا الله ورسوله أعلم قال : فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة — حتى عد سبع أرضين — بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلا إلى الأرض السفلى لهبط على الله ثم قرأ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ثم قال الترمذى هذا حديث غريب من هذا الوجه ويروى عن أيوب ويونس يعنى ابن عبيد وعلى بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبى هريرة وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف فى كتابه انتهى كلامه . وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن شريح عن الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره وعنده وبعد مابين الأرضين مسيرة سبعمائة عام وقال : لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله ثم قرأ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ورواه ابن أبى حاتم والبزار من حديث أبى جعفر الرازى عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة فذكر الحديث ولم يذكر ابن أبى حاتم آخره وهو قوله لو دليتم بحبل وإنما قال حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام ثم تلا (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) وقال البزار لم يروه عن النبى ﷺ إلا أبو هريرة ورواه ابن جرير عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ذكر لنا أن نبى الله ﷺ بينما هو جالس فى أصحابه إذ مر عليهم سحاب فقال : هل تدرون ماهذا. وذكر الحديث مثل سياق الترمذى سواء إلا أنه مرسل من هذا الوجه ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم وقد روى من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه وأرضاه رواه البزار فى مسنده والبيهقى فى كتاب الأسماء والصفات ولكن فى إسناده نظر وفى متنه غرابة ونكارة والله سبحانه وتعالى أعلم

وقال ابن جرير عند قوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض فقال بعضهم لبعض من أين جئت قال أحدهم أرسلنى ربى عز وجل من السماء السابعة وتركته ، ثم قال الآخر أرسلنى ربى عز وجل من الأرض السابعة وتركته ثم ، قال الآخر أرسلنى ربى من المشرق وتركته ثم ، قال الآخر أرسلنى ربى من المغرب وتركته ثم. وهذا حديث غريب جدا وقد يكون الحديث الأول موقوفا على قتادة كما روى ههنا من قوله والله أعلم

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهها فى سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (يعلم مايلج فى الأرض) أى يعلم عدد مايدخل فيها من حب وقطر (ومايخرج منها) من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وقوله تعالى (وما ينزل من السماء) أى من الأمطار ، والثلوج والبرد والاقدار . والاحكام مع الملائكة الكرام . وقد تقدم فى سورة البقرة أنه ماينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها فى المكان الذى يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى وقوله تعالى (وما يعرج فيها) أى من الملائكة والأعمال كما جاء فى الصحيح « يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » وقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) أى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر فى ليل أو نهار فى البيوت أو فى القفار الجميع فى علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون إنه عليم بذات الصدور) وقال تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) فلا إله غيره ولا رب سواه ، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لما سأله عن الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » وروى الحافظ أبو بكر الاسماعيلى من حديث نصر بن خزيمة ابن جنادة بن محفوظ بن علقمة حدثنى أبى عن نصر بن علقمة عن أخيه عن عبد الرحمن بن عامر قال : قال عمر جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال زودنى حكمة أعيش بها فقال « استح الله كما تستحى رجلا من صالحى عشيرتك لا يفارقك » هذا حديث غريب وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن علويه العامرى مرفوعا « ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان إن عبد الله وحده وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه فى كل عام ولم يعط الهرمة ولا الرذية ولا الشرطة اللئيمة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم وزكى نفسه » وقال رجل يارسول الله ماتزكية المرء نفسه فقال « يعلم أن الله معه حيث كان » . وقال نعيم بن حماد رحمه الله حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى عن محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم عن عبد الرحمن ابن غنم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » غريب وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين :

إذا ماخلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفى عليه يغيب

وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور) أى هو المالك للدنيا والآخرة كما قال تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة) وقال تعالى (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير) فجميع ما فى السموات والأرض ملك له وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى (إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) ولهذا قال (وإلى الله

ترجع الأمور) أى اليه المرجع يوم القيامة فيحكم فى خلقه بمـــا يشاء وهو العادل الذى لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة بل إن يكن عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وكما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فـلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) . وقوله تعـالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى هو المتصرف فى الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس وتارة يتركهما معتدلين ، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعا ثم قيظا ثم خريفا وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه (وهو عليم بذات الصدور) أى يعلم السرائر وإن دقت وان خفيت

﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ * وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

أمر تبـارك وتعـالى بالإيمان به وبرسوله على الوجـه الأكمل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار وحث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أى ممـا هو معكم على سبيـل العارية فانه قد كان فى أيدى من قبلكم ثم صار اليكم فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال فى طاعته فان يفعلوا وإلا حاسبهم عليـه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه ، وقوله تعالى (مما جعلكم مستخلفين فيه) فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفا عنك فلعل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أو يعصى الله فيه فتكون قد سعيت فى معاونته على الاثم والعدوان . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعنى ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول « ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ » ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد « وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس » وقوله تعالى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) ترغيب فى الإيمان والإنفاق فى الطاعة ثم قال تعالى (ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ؟) أى وأى شىء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به وقد روينا فى الحديث من طرق فى أوائل شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه « أى المؤمنين أعجب إليكم إيمانا ـ قالوا الملائكة قال ـ وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ ـ قالوا فالأنبياء : قال : ومالهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم ـ قالوا فنحن قال : ومالكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيمانا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها وقد ذكرنا طرفا من هذه فى أول سورة البقرة عند قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) وقوله تعالى (وقد أخذ ميثاقكم) كما قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا) ويعنى بذلك بيعة الرسول صلى الله عليـه وسلم وزعم ابن جرير أن المراد بذلك الميثاق الذى أخذ عليهم فى صلب آدم وهو مذهب مجاهـد فالله أعلم وقوله تعالى (هو الذى ينزل على عبـده آيات بينات) أى حججا واضحات ودلائل باهرات وبراهين قاطعات (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى

واليقين والإيمان (وإن الله بكم لرؤوف رحيم) أى فى انزاله الكتب وارساله الرسل لهداية الناس وازاحة العلل وازالة الشبه ولما أمرهم أولا بالإيمان والانفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حثهم أيضا على الإنفاق فقال (ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض ؟) أى أنفقوا ولاتخشوا فقرا وإقلالا فان الذى أنفقتم فى سبيله هو مالك السموات والأرض وبيده مقاليدها وعنده خزائنها وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهوخير الرازقين) وقال (ماعندكم ينفدوما عند الله باق) فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذى العرش اقلالا وعلم أن الله سيخلفه عليه وقوله تعالى (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى لايستوى هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدا فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون وأما بعد الفتح فانه ظهر الإسلام ظهورا عظيما ودخل الناس فى دين الله أفواجا . ولهذا قال تعالى (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلواو كلاوعد الله الحسنى) والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة وعن الشعبى وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمد بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيلون علينا بأيام سبقتمونابها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال «دعوا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد أومثل الجبال ذهبا مابلغتم أعمالهم » ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه المشاجرة بينهما فى بنى جذيمة الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرهما فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك والذى فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لاتسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وروى ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » فقلنا من هم يارسول الله أقريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن هم أرق افئدة والين قلوبا » فقلنا أهم خير منا يارسول الله ؟ قال : «لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ماأدرك مد أحدكم ولا نصيفة إلا أن هذا فضل مابيننا وبين الناس (لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) وهذا الحديث غريب بهذا السياق والذى فى الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد ذكر الخوارج : تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . الحديث ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال حدثنى ابن البرقى حدثنا ابن أبى مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنى زيد بن أسلم عن أبى سعيد التمار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم» قلنا من هم يارسول الله، قريش؟ قال «لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوبا» وأشار بيده إلى اليمن فقال «هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية » فقلنا يارسول الله هم خير منا ؟ قال : «والذى نفسى بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ماأدى مد أحدكم ولا نصيفه » ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال « ألا إن هذا فضل مابيننا وبين الناس لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية فان كان ذلك محفوظا كما تقدم فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارا عما بعده كما فى قوله تعالى فى سورة المزمل وهى مكية من أوائل مانزل (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) الآية فهى بشارة بما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم . وقوله تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) يعنى المنفقين قبل الفتح

وبعده كلهم لهم ثواب على ما عملوا وإن كان بينهم تفاوت فى تفاضل الجزاء كما قال تعالى (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) وهكذا الحديث الذى فى الصحيح « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول : دون الآخر فيتوهم عندهم ذمه فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون خبير) أى فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وانفاقه فى حال الجهد والقلة والضيق ، وفى الحديث « سبق درهم مائة ألف » ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضى الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية فانه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء فانه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها . وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى عند تفسير هذه الآية : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أخبرنا عبد الله ابن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن إسحق بن أيوب أخبرنا محمد بن يونس حدثنا العلاء بن عمرو الشيبانى حدثنا أبو إسحق الفزارى حدثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن على عن ابن عمر قال كنت عند النبى ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال ؟ فقال « أنفق ماله على قبل الفتح » قال فان الله يقول : اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ » فقال أبو بكر رضى الله عنه : أسخط على ربى عز وجل ؟ إنى عن ربى راض . هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) قال عمر بن الخطاب هو الانفاق فى سبيل الله ، وقيل هو النفقة على العيال ، والصحيح أنه أعم من ذلك فكل من أنفق فى سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل فى عموم هذه الآية ولهذا قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) كما قال فى الآية الأخرى (أضعافا كثيرة وله أجر كريم) أى جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة

قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) قال أبو الدحداح الأنصارى يا رسول الله وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال « نعم يا أبا الدحداح » قال أرنى يدك يا رسول الله قال فناوله يده قال فانى قد أقرضت ربى حائطى وله حائط فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجى فقد أقرضته ربى عز وجل ، وفى رواية أنها قالت له ربح بيعك يا أبا الدحداح ونقلت منه متاعها وصبيانها وإن رسول الله ﷺ قال « كم من عذق رداح فى الجنة لأبى الدحداح » وفى لفظ « رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبى الدحداح فى الجنة »

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ

﴿ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم فى عرصات القيامة بحسب أعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى (يسعى نورهم بين أيديهم) قال على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نورا من نوره فى إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة ، ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير وقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول « من المؤمنين من يضىء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى إن من المؤمنين من يضىء نوره موضع قدميه » وقال سفيان الثورى عن حصين عن مجاهد عن جنادة بن أبى أمية قال إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلاكم ونجواكم ومجالسكم فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك وقرأ (يسعى نورهم بين أيديهم) وقال الضحاك ليس أحد إلا يعطى نورا يوم القيامة فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين فقالوا ربنا أتمم لنا نورنا ، وقال الحسن (يسعى نورهم بين أيديهم) يعنى على الصراط . وقد قال ابن أبى حاتم رحمه الله : حدثنا أبو عبيد الله بن أخى ابن وهب أخبرنا عمى عن يزيد بن أبى حبيب عن سعيد بن مسعود أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبى ﷺ قال « أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى فأعرف أمتى من بين الأمم » فقال له رجل يا نبى الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك ؟ فقال: أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم فى وجوههم وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم.

وقوله (وبأيمانهم) قال الضحاك أى وبأيمانهم كتبهم كما قال (فمن أوتى كتابه بيمينه) وقوله (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار) أى يقال لهم بشراكم اليوم جنات أى لكم البشارة بجنات تجرى من تحتها الأنهار (خالدين فيها) أى ماكثين فيها أبدا (ذلك هو الفوز العظيم) وقوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) وهذا اخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة فى العرصات من الأهوال المزعجة . والزلازل العظيمة ، والأمور الفظيعة وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو حدثنى سليم بن عامر قال خرجنا على جنازة فى باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلى فلما صلى على الجنازة وأخذوا فى دفنها قال أبو أمامة : أيها الناس إنكم قد أصبحتم وأمسيتم فى منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات ، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة فانكم فى بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه ، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن ، نورا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا ، وهو المثل الذى ضربه الله تعالى فى كتابه فقال (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فلا يستضىء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضىء الأعمى ببصر البصير ، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا (انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) وهى خدعة الله التى خدع بها المنافقين حيث قال (يخادعون الله وهو خادعهم) فيرجعون إلى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) الآية يقول سليم بن عامر فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن ثم قال حدثنا أبى حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا ابن حيوة حدثنا ارطاة بن المنذر حدثنا يوسف بن الحجاج

عن أبي أمامة قال يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون (انظرونا نقتبس من نوركم) وقال العوفى والضحاك وغيرهما عن ابن عباس بينما الناس فى ظلمة إذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلا من الله إلى الجنة ، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ (انظرونا نقتبس من نوركم) فإنا كنا معكم فى الدنيا قال المؤمنون (ارجعوا وراءكم) من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا الحسن بن عرفة بن علويه العطار حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة حدثنا ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترا منه على عباده ، وأما عند الصراط فان الله تعالى يعطى كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فاذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا »

وقوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) قال الحسن وقتادة هو حائط بين الجنة والنار ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو الذى قال الله تعالى (وبينهما حجاب) وهكذا روى عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح (باطنه فيه الرحمة) أى الجنة ومافيها (وظاهره من قبله العذاب) أى النار قاله قتادة وابن زيد وغيرهما ، قال ابن جرير وقد قيل إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادى جهنم . ثم قال حدثنا ابن البرقى حدثنا عمرو بن أبى سلمة عن سعيد بن عطية بن قيس عن أبى العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله ابن عمرو يقول إن السور الذى ذكره الله فى القرآن (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) هو السور الشرقى باطنه المسجد ومايليه وظاهره وادى جهنم . ثم روى عن عبادة بن الصامت وكعب الأحبار وعلى بن الحسين وزين العابدين نحو ذلك ، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالا لذلك لا أن هذا هو الذى أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادى المعروف بوادى جهنم فان الجنة فى السموات فى أعلى عليين والنار فى الدركات أسفل سافلين ، وقول كعب الأحبار إن الباب المذكور فى القرآن هو باب الرحمة الذى هو أحد أبواب المسجد فهذا من إسرائيلياته وترهاته ، وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فاذا انتهى اليه المؤمنون دخلوه من بابه فاذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقى المنافقون من ورائه فى الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا فى الدار الدنيا فى كفر وجهل وشك وحيرة (ينادونهم ألم نكن معكم أى ينادى المنافقون المؤمنين أما كنا معكم فى الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلى معكم الجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ونؤدى معكم سائر الواجبات ؟ (قالوا بلى) أى فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين بلى قد كنتم معنا (ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى) قال بعض السلف أى فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصى والشهوات وتربصتم أى أخرتم التوبة من وقت إلى وقت . وقال قتادة (تربصتم) بالحق وأهله (وارتبتم) أى بالبعث بعد الموت (وغرتكم الأمانى) أى قلتم سيغفر لنا وقيل غرتكم الدنيا (حتى جاء أمر الله) أى مازلتم فى هذا حتى جاءكم الموت (وغركم بالله الغرور) أى الشيطان ، قال قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله مازالوا عليها حتى قذفهم الله فى النار : ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين انكم كنتم معنا أى بأبدان لانية لها ولاقلوب معها وإنما كنتم فى حيرة وشك فكنتم تراءون الناس ولاتذكرون الله إلاقليلا ، قال مجاهد كان المنافقون مع المؤمنين أحياء ينا كحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم وكانوا معهم أمواتا ويعطون النور جميعا يوم القيامة ، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ . وهذا القول من المؤمنين لاينافى قولهم الذى أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول وهو أصدق القائلين (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين * فى جنات يتساءلون * عن المجرمين * ماسلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب

بيوم الدين * حتى أتانا اليقين) فهذا إنما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ . ثم قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) كما قال ههنا (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) أى لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبا ومثله معه ليفتدى به من عذاب الله ما قبل منه وقوله تعالى (مأواكم النار) أى هى مصيركم وإليها منقلبكم ، وقوله تعالى (هى مولاكم) أى هى أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ * ٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أى تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه . قال عبد الله بن المبارك حدثنا صالح المرى عن قتادة عن ابن عباس أنه قال : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) الآية رواه ابن أبى حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن حسين المروزى عن ابن المبارك به . ثم قال هو ومسلم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن هلال يعنى الليثى عن عون بن عبد الله عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) الآية إلا أربع سنين كذا رواه مسلم فى آخر الكتاب ، وأخرجه النسائى عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلى عن ابن وهب به . وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعى عن أبى حازم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه مثله فجعله من مسند ابن الزبير لكن رواه البزار فى مسنده من طريق موسى بن يعقوب عن أبى حازم عن عامر عن ابن الزبير عن ابن مسعود فذكره وقال سفيان الثورى عن المسعودى عن القاسم قال مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) قال ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث) ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) وقال قتادة (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله ﷺ قال « إن أول ما يرفع من الناس الخشوع » . وقوله تعالى (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذى بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة ، وقلدوا الرجال فى دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد (وكثير منهم فاسقون) أى فى الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) أى فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التى أمروا بها وارتكبوا ما نهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم فى شىء من الأمور الأصلية والفرعية

وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا شهاب بن خراش حدثنا حجاج بن دينار عن منصور ابن المعتمر عن الربيع بن أبى عميلة الفزارى قال حدثنا عبد الله بن مسعود حدثنا ما سمعت أعجب إلى منه إلا شيئا من كتاب الله أو شيئا قاله النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند أنفسهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم

فقالوا تعالوا ندع بنى إسرائيل إلى كتابنا هذا فمن تابعنا عليه تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه فلما رأى ما يصنعون عمد إلى مايعرف من كتاب الله فكتبه فى شىء لطيف ثم أدرجه فجعله فى قرن ثم علق ذلك القرن فى عنقه فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض يا هؤلاء إنكم قد أفشيتم القتل فى بنى إسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم فانه إن تابعكم فسيتابعكم بقية الناس وإن أبى فاقتلوه ، فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا أتؤمن بما فى كتابنا هذا ؟ قال وما فيه ؟ اعرضوه على فعرضوه عليه إلى آخره ثم قالوا أتؤمن بهذا ؟ قال نعم آمنت بما فى هذا وأشار بيده إلى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه معلقا ذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة فافترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وخير مللهم ملة أصحاب ذى القرن » قال ابن مسعود وإنكم أوشك بكم إن بقيتم أوبقى من بقى منكم أن تروا أمورا تنكرونها لا تستطيعون لها غيرا فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره . وروى أبو جعفر الطبرى حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن أبى معشر عن إبراهيم قال جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال يا أباعبدالله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فقال عبد الله هلك من لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر قلبه منكرا ، إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم وقالوا نعرض بنى إسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه قال فجعل رجل منهم كتاب الله فى قرن ثم جعل القرن بين ثندوتيه فلما قيل له أتؤمن بهذا ؟ قال آمنت به ويومىء إلى القرن بين ثندوتيه ، ومالى لا أومن بهذا الكتاب ؟ فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن . وقوله تعالى (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدى الحيارى بعد ضلتها ويفرج الكروب بعد شدتها فكما يحيى الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل كذلك يهدى القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل ، فسبحان الهادى لمن يشاء بعد الضلال ، والمضل لمن أراد بعد الكمال ، الذى هو لما يشاء فعال ، وهو الحكيم العدل فى جميع الفعال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال

﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أى دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورا ولهذا قال (يضاعف لهم) أى يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك (ولهم أجر كريم) أى ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم . وقوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذا تمام الجملة ، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون ، قال العوفى عن ابن عباس قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذه مفصولة (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) وقال أبو الضحى (أولئك هم الصديقون) ثم استأنف الكلام فقال (والشهداء عند ربهم) وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم . وقال الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) قال هم ثلاثة أصناف : يعنى المصدقين والصدقين والشهداء ، كما قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين) ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان ولاشك أن

الصديق أعلى مقاما من الشهيد كما رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله فى كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » قال يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » اتفق البخارى ومسلم على إخراجه من حديث مالك به ، وقال آخرون بل المراد من قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) فأخبر(١) عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء حكاه ابن جرير عن مجاهد ثم قال ابن جرير حدثنى صالح بن حرب أبو معمر حدثنا إسماعيل بن يحيى حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مؤمنو أمتى شهداء » قال ثم تلا النبى ﷺ هذه الآية (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) هذا حديث غريب . . وقال أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون فى قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) قال يجيئون يوم القيامة معا كالاصبعين . وقوله تعالى (والشهداء عند ربهم) أى فى جنات النعيم كما جاء فى الصحيحين « إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تريدون ؟! فقالوا نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة فقال إنى قد قضيت أنهم إليها لا يرجعون » : وقوله تعالى (لهم أجرهم ونورهم) أى لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم فى ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا فى الدار الدنيا من الأعمال كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن أبى يزيد الخولانى قال سمعت فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقى العدو فصدق الله فقتل فذاك الذى ينظر الناس إليه هكذا » ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنسوة عمر « والثانى مؤمن لقى العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك فى الدرجة الثانية ، والثالث رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الثالثة ، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافا كثيرا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الرابعة » وهكذا رواه على بن المدينى عن أبى داود الطيالسى عن ابن المبارك عن ابن لهيعة ، وقال هذا إسناد مصرى صالح ، ورواه الترمذى من حديث ابن لهيعة وقال حسن غريب ، وقوله تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر السعداء ومآلهم عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ * سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى موهنا أمر الحياة الدنيا ومحقرا لها (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد) أى إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من ذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا فى أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال (كمثل غيث) وهو المطر الذى يأتى

(١) قوله : فأخبر ،هكذا فى النسخ ولعل فى العباره تحريفا . والصواب الإخبار ، أو أن يخبر .

بعد قنوط الناس كما قال تعالى (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا)

وقوله تعالى (أعجب الكفار نباته) أى يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذى نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار فانهم أحرص شىء عليها وأميل الناس إليها (ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) أى يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرا بعد ما كان خضرا نضرا ثم يكون بعد ذلك كله حطاما أى يصير يبسا متحطما هكذا الحياة الدنيا تكون أو لا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزا شوهاء ، والإنسان يكون كذلك فى أول عمره وعنفوان شبابه غضا طريا لين الأعطاف ، بهى المنظر ثم إنه يشرع فى الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا ضعيف القوى ، قليل الحركة يعجزه الشىء اليسير كما قال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال (وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان * وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أى وليس فى الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا : إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان . وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أى هى متاع فان غار لمن ركن إليه فانه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها وهى حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة. قال ابن جرير حدثنا على بن حرب الموصلى حدثنا المحاربى حدثنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) » وهذا الحديث ثابت فى الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير ووكيع كلاهما عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » انفرد بإخراجه البخارى فى الرقاق من حديث الثورى عن الأعمش به . ففى هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التى تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) والمراد جنس السماء والأرض كما قال تعالى فى الآية الأخرى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) وقال ههنا (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى هذا الذى أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم كما قدمنا فى الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال « وما ذاك . » قالوا يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق قال « أفلا أدلكم على شىء إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم . تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » قال فرجعوا فقالوا سمع اخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله ﷺ « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾

يخبر تعالى عن قدره السابق فى خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم) أى فى الآفاق وفى نفوسكم (إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة وقال بعضهم من قبل أن نبرأها عائد على النفوس وقيل عائد على المصيبة والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها

كما قال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسامع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) فسألته عنها فقال سبحان الله ومن يشك فى هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض فى كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة وقال قتادة ماأصاب من مصيبة فى الأرض قال هى السنون يعنى الجدب (ولا فى أنفسكم) يقول الأوجاع والأمراض ، قال وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب وما يعفوالله عنه أكثر . وهـذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق - قبحهم الله - وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة وابن لهيعة قالا أخبرنا أبو هانىء الخولانى أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » . ورواه مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد ثلاثتهم عن أبى هانىء به وزاد ابن وهب « وكان عرشه على الماء » ورواه الترمذى وقال حسن صحيح وقوله تعالى (إن ذلك على الله يسير) أى أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد فى حينها سهل على الله عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وقوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أى أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شىء لكان (ولا تفرحوا بما آتاكم) أى جاءكم ، وتفسير آتاكم أى أعطاكم وكلاهما متلازم أى لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فان ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشرا وبطرا تفخرون بها على الناس ، ولهذا قال تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) أى مختال فى نفسه متكبر فخور أى على غيره وقال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا . ثم قال تعالى (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) أى يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه (ومن يتول) أى عن أمر الله وطاعته (فان الله هو الغنى الحميد) كما قال موسى عليه السلام (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فان الله لغنى حميد) .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

يقول تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أى بالمعجزات ، والحجج الباهرات ، والدلائل القاطعات (وأنزلنا معهم الكتاب) وهو النقل الصدق (والميزان) وهو العدل قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو الحق الذى تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) وقال تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) وقال تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) ولهذا قال فى هذه الآية (ليقوم الناس بالقسط) أى بالحق والعدل وهو واتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فان الذى جاءوا به هو الحق الذى ليس وراءه حق كما قال (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أى صدقا فى الاخبار وعدلا فى الأوامر والنواهى ولهـذا يقول المؤمنون إذا تبوؤا غرف الجنات ، والمنازل العاليات ، والسرر المصفوفات (الحمد لله الذى هدانا لهـذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) . وقوله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أى وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهـذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وايضاح للتوحيد وبينات ودلالات ، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهمام لمن خالف القرآن

وكذب به وعانده . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي المنيب الجرشي الشامي عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لاشريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » ولهذا قال تعالى (فيه بأس شديد) يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها (ومنافع للناس) أي في معايشهم كالسكة والفاس والقدوم والمنشار والإزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك . قال علباء بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والميقعة يعني المطرقة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) أي من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله (إن الله قوي عزيز) أي هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا ولا نبيا إلا من ذريته وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتابا ولا أرسل رسولا ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالته كما قال تعالى في الآية الأخرى (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا قال تعالى (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل) وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) وهم الحواريون (رأفة) أي رقة وهي الخشية (ورحمة) بالخلق ، وقوله (ورهبانية ابتدعوها) أي ابتدعها أمة النصارى (ما كتبناها عليهم) أي ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم . وقوله تعالى (إلا ابتغاء رضوان الله) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير وقتادة ﴿ والآخر ﴾ ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله ؛ وقوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) أي فما قاموا بما التزموه حق القيام ، وهذا ذم لهم من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ الابتداع في دين الله مالم يأمر به الله ﴿ والثاني ﴾ في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي حدثنا السري بن عبد ربه حدثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده ابن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ابن مسعود » قلت لبيك يارسول الله قال « هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى بن مريم عليه السلام فدعت إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) »

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا داود بن المحبر حدثنا الصعق

ابن حزن حدثنا عقيل الجعدى عن أبى إسحاق الهمدانى عن سويد بن غفلة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم » وذكر نحو ما تقدم وفيه « (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) هم الذين آمنوا بى وصدقونى (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين كذبونى وخالفونى » ولا يقدح فى هذه المتابعة لحال داود بن المحبر فانه أحد الوضاعين للحديث ولكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن الصعق ابن حزن به مثل ذلك فقوى الحديث من هذا الوجه وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائى واللفظ له أخبرنا الحسين ابن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان بن سعيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوارة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرءون التوارة والانجيل فقيل للوكهم ما نجد شيئا أشد من شتم يشتمونا هؤلاء إنهم يقرءون (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) هذه الآيات مع مايعيبوننا به من أعمالنا فى قراءتهم فادعهم فليقرأوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا ، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل إلا مابدلوا منها فقالوا ماتريدون إلى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح فى الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) والآخرون قالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط منهم رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله عز وجل (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) أجرين بإيمانهم بعيسى بن مريم ونصب أنفسهم والتوارة والانجيل وبإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم قال (ويجعل لكم نورا تمشون به) القرآن واتباعهم النبى صلى الله عليه وسلم قال (لئلا يعلم أهل الكتاب) الذين يتشبهون بكم (أن لا يقدرون على شىء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) هذا السياق فيه غرابة وسيأتى تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا والله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أحمد بن عيسى حدثنا عبد الله بن وهب حدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن أبى الحمياء أن سهل بن أبى أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير وهو يصلى صلاة خفيفة وقعة كأنها صلاة مسافر أو قريبا منها فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شىء تنفلته ؟ قال إنها المكتوبة وإنها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت إلا شيئا سهوت عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » ثم غدوا من الغد فقالوا نركب فننظر ونعتبر قال نعم فركبوا جميعا فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها فقالوا أتعرف هذه الديار ؟ قال ما أعرفنى بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغى والحسد إن الحسد يطفىء نور الحسنات والبغى يصدق ذلك أو يكذبه والعين تزنى والكف والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه . وقال الإمام أحمد حدثنا معمر حدثنا عبد الله أخبرنا سفيان عن زيد العمى عن أبى إياس عن إياس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لكل نبى رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله عز وجل » ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن أسماء عن عبد الله بن المبارك به ولفظه « لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله » . وقال الإمام أحمد حدثنا حسين ـ هو ابن محمد ـ حدثنا عياش يعنى إسماعيل عن الحجاج بن هارون الكلاعى وعقيل بن مدرك السلمى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلا جاءه فقال أوصنى فقال سألت عما سألت عنه

رسول الله ﷺ من قبلك أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فانه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روحك في السماء وذكرك في الأرض . تفرد به أحمد والله تعالى أعلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لِّئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص وكما في حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » أخرجاه في الصحيحين ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما وهو اختيار ابن جرير ، وقال سعيد ابن جبير لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين) أي ضعفين (من رحمته) وزادهم (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم ، ففضلهم بالنور والمغفرة رواه ابن جرير عنه . وهذه الآية كقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) وقال سعيد بن عبد العزيز سأل عمر بن الخطاب حبرا من أحبار يهود أفضل ما ضعف لكم حسنة قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة قال فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل (يؤتكم كفلين من رحمته) قال سعيد والكفلان في الجمعة مثل ذلك رواه ابن جرير . ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود ، ثم قال من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى ، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم ، فغضبت النصارى واليهود وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من أجركم شيئا ؟ قالوا لا ، قال فانما هو فضلي أوتيه من أشاء » قال أحمد وحدثناه مؤمل عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب عن حماد عن نافع به ، وعن قتيبة عن الليث عن نافع بمثله . وقال البخاري حدثني محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر . قالوا ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه . فقال أكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار شيء يسير فأبوا . فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور » انفرد به البخاري ولهذا قال تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) أي ليتحققوا انهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) والله ذو الفضل العظيم) قال ابن جرير (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي ليعلم وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها لكي يعلم

وكذا عطاء بن عبد الله وسعيد بن جبير : قال ابن جرير لأن العرب تجعل لا صلة فى كل كلام دخل فى أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله (مامنعك ألا تسجد) (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) بالله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) آخر تفسير سورة الحديد ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المجادلة مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

قال الإمام على أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبى ﷺ تكلمه وأنا فى ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) إلى آخر الآية وهكذا رواه البخارى فى كتاب التوحيد تعليقا فقال وقال الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة فذكره وأخرجه النسائى وابن ماجه وابن أبى حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به . وفى رواية لابن أبى حاتم عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة أنها قالت تبارك الذى أوعى سمعه كل شىء إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ وهى تقول يارسول الله أكل مالى وأفنى شبابى ونثرت له بطنى حتى إذا كبرت سنى وانقطع ولدى ظاهر منى اللهم إنى أشكو إليك قالت فما برحت حتى أنزل جبريل بهذه الآية (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) قالت وزوجها أوس بن الصامت ، وقال ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة عن أوس بن الصامت وكان أوس امرءا به لمم فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته وإذا ذهب لم يقل شيئاً فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه فى ذلك وتشتكى إلى الله فأنزل الله (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله) الآية وهكذا روى هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا كان به لمم فذكر مثله وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة حدثنا جرير يعنى ابن حازم قال سمعت أبا يزيد يحدث قال لقيت امرأة عمر يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل يا أمير المؤمنين حبست رجلات قريش على هذه العجوز قال ويحك وتدرى من هذه ؟ قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عنى إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضى حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها . هذا منقطع بين أبى يزيد وعمر بن الخطاب وقد روى من غير هذا الوجه . وقال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى حدثنا زكريا عن عامر قال المرأة التى جادلت فى زوجها خولة بنت الصامت وأمها معاذة التى أنزل الله فيها (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) صوابه خولة امرأة أوس بن الصامت

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ * وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالا حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه قالت فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال أنت علي كظهر أمي . قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فإذا هو يريدني عن نفسي قالت قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لاتخلص إلي وقد قلت ماقلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني قالت ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له مالقيت منه وجعلت أشكو إليه ماألقى من سوء خلقه قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه » قالت فوالله مابرحت حتى نزل في قرآن ، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي « ياخويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا - ثم قرأ علي - قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير - إلى قوله تعالى - وللكافرين عذاب أليم) » قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « مريه فليعتق رقبة » قالت فقلت يارسول ما عنده مايعتق قال « فليصم شهرين متتابعين » قالت فقلت والله إنه لشيخ كبير مابه من صيام قال « فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر » قالت فقلت والله يارسول الله ماذاك عنده قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فانا سنعينه بفرق من تمر » قالت فقلت يارسول الله وأنا سأعينه بفرق آخر قال « قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيراً » قالت ففعلت . ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن إسحاق بن يسار به وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال لها خولة بنت مالك بن ثعلبة وقد تصغر فيقال خويلة ولا منافاة بين هذه الأقوال فالأمر فيها قريب والله أعلم هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة ، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كان سبب النزول ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة ، من العتق أو الصيام أو الاطعام ، كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن اسحاق بن يسار عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر الأنصاري قال كنت امرأ قد أوتيت من جماع النساء مالم يؤت غيري فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من أن أصيب في ليلتي شيئا فأتتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع فبينا هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت انطلقوا معي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بأمري ، فقالوا لا والله لانفعل نتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع مابدا لك قال فخرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبري فقال لي « أنت بذاك » فقلت أنا بذاك فقال « أنت بذاك » فقلت أنا بذاك قال « أنت بذاك » قلت نعم ها أناذا فأمض في حكم الله عز وجل فاني صابر له قال « أعتق رقبة » قال فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت لا والذي بعثك بالحق ماأصبحت أملك غيرها قال « فصم شهرين متتابعين » قلت يارسول الله وهل أصابني ماأصابني إلا في الصيام قال « فتصدق » فقلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتناهذه وحشا مالنا عشاء قال « اذهب الى صاحب صدقة بني رزيق فقل له فليدفعها اليك فأطعم عنك منها وسقا من تمر ستين مسكينا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك » قال فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة قد أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي فدفعوها إلي ، وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة كما ذل عليه سياق تلك وهذه بعد

التأمل قال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقا فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أوسا ظاهر منى وإنا إن افترقنا هلكنا وقد نثرت بطنى منه وقدمت صحبته وهى تشكو ذلك وتبكى ولم يكن جاء فى ذلك شىء فأنزل الله تعالى (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله — إلى قوله تعالى — وللكافرين عذاب أليم) فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أتقدر على رقبة تعتقها » قال لا والله يارسول الله ما أقدر عليها قال فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنقه ثم راجع أهله رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والأكثرون إلى ماقلناه والله أعلم فقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) أصل الظهار مشتق من الظهر وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها أنت على كظهر أمى ثم فى الشرع كان الظهار فى سائر الأعضاء قياسا على الظهر وكان الظهار عند الجاهلية طلاقا فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقا كما كانوا يعتمدونه فى جاهليتهم هكذا قال غير واحد من السلف قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبى حمزة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل إذا قال لامرأته فى الجاهلية أنت على كظهر أمى حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر فى الاسلام أوس وكان تحته ابنة عم له يقال لها خويلة بنت ثعلبة فظاهر منها فأسقط فى يديه ، وقال ماأراك إلا قد حرمت على وقالت له مثل ذلك قال فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عند ماشطة تمشط رأسه فقال « ياخويلة » ما أمرنا فى أمرك بشىء ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال « ياخويلة أبشرى » قالت خيرا فقرأ عليها (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما — إلى قوله تعالى — والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) قالت وأى رقبة لنا والله مايجد رقبة غيرى قال (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) قالت والله لولا انه يشرب فى اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) قالت من أين ما هى إلا أكلة إلى مثلها قال فدعا بشطر وسق ثلاثين صاعا والوسق ستون صاعا فقال : ليطعم ستين مسكينا وليراجعك . وهذا إسناد جيد قوى وسياق غريب ، وقد روى عن أبى العالية نحو هذا .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروى حدثنا على بن العاصم عن دواد بن أبى هند عن أبى العالية قال: كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار وكان ضرير البصر فقيرا سيىء الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته قال أنت على كظهر أمى وكان لها منه عيل أو عيلان فنازعته يوما فى شىء فقال أنت على كظهر أمى فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت عائشة وعائشة تغسل شق رأسه فقدمت عليه ومعها عيلها فقالت يارسول الله إن زوجى ضرير البصر فقير لا شىء له سيىء الخلق وإنى نازعته فى شىء فغضب فقال أنت على كظهر أمى ولم يرد به الطلاق ولى منه عيل أو عيلان فقال « ما أعلمك إلا قد حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله ما نزل بى وأباصبيتى قالت ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر فدارت معها فقالت يارسول الله زوجى ضرير البصر فقير سيىء الخلق وإن لى منه عيلا أو عيلين وإنى نازعته فى شىء فغضب وقال أنت على كظهر أمى ولم يرد به الطلاق قالت فرفع إلى رأسه وقال « ماأعلمك الاقد حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله ما نزل بى وأباصبيتى قال ورأت عائشة وجه النبى صلى الله عليه وسلم تغير فقالت لها وراءك وراءك فتنحت فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غشيانه ذلك ما شاء الله فلما انقطع الوحى قال ياعائشة أين المرأة فدعتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذهبى فأتينى بزوجك » فانطلقت تسعى فجاءت به فاذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيىء الخلق فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أستعيذ بالله السميع العليم (بسم الله الرحمن الرحيم * قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها — إلى قوله — والذين يظاهرون من نسائهم . ثم يعودون لما قالوا) » قال النبى صلى الله عليه وسلم « أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها » قال لا قال « أفلا تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال والذى بعثك بالحق إنى إذا لم آكل المرتين

والثلاث يكاد أن يعشو بصرى قال « أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟ » قال لا إلا أن تعينى قال فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أطعم ستين مسكينا » قال وحول الله الطلاق فجعله ظهارا ورواه ابن جرير عن ابن المثنى عن عبد الأعلى عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه بأخصر من هذا السياق ، وقال سعيد بن جبير كان الايلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الايلاء أربعة أشهر وجعل فى الظهار الكفارة رواه ابن أبى حاتم بنحوه وقد استدل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل فى هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، واستدل الجمهور عليه بقوله (من نسائهم) على أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل فى هذا الخطاب وقوله تعالى (ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم) أى لا تصير المرأة بقول الرجل أنت على كأمى أومثل أمى أو كظهر أمى وما أشبه ذلك لا تصير أمه بذلك إنما أمه التى ولدته ولهذا قال تعالى (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أى كلاما فاحشا باطلا (وإن الله لعفو غفور) أى عما كان منكم فى حال الجاهلية ، وهكذا أيضا عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد إليه المتكلم كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول لامرأته يا أختى فقال « أختك هى ؟ » فهذا إنكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه لأنه لافرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك

وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف السلف والأئمة فى المراد بقوله تعالى (ثم يعودون لما قالوا) فقال بعض الناس العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود حكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الأشج والفراء وفرقة من أهل الكلام ، وقال الشافعى هو أن يمسكها بعد الظاهرة زمانا يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق ، وقال أحمد بن حنبل هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة ، وقد حكى عن مالك أنه العزم على الجماع أو الامساك ، وعنه أنه الجماع ، وقال أبو حنيفة هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريما لا يرفعه إلا الكفارة وإليه ذهب أصحابه والليث بن سعد وقال ابن لهيعة حدثنى عطاء عن سعيد بن جبير (ثم يعودون لما قالوا) يعنى يريدون أن يعودوا فى الجماع الذى حرموه على أنفسهم ، وقال الحسن البصرى يعنى الغشيان فى الفرج وكان لا يرى بأسا أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (من قبل أن يتماسا) والمس النكاح وكذا قال عطاء والزهرى وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الزهرى ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر . وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله إنى ظاهرت من امرأتى فوقعت عليها قبل أن أكفر فقال « ما حملك على ذلك يرحمك الله » قال رأيت خلخالها فى ضوء القمر قال « فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عزوجل » وقال الترمذى حسن غريب صحيح ورواه أبو داود والنسائى من حديث عكرمة مرسلا قال النسائى وهو أولى بالصواب وقوله تعالى (فتحرير رقبة) أى فاعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا فههنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان وفى كفارة القتل مقيدة بالإيمان فحمل الشافعى رحمه الله ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد فى ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمى فى قصة الجارية السوداء وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعتقها فانها مؤمنة » وقد رواه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن نمير عن إسماعيل بن مسلم بن يسار عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال إنى ظاهرت من امراتى ثم وقعت عليها قبل أن أكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم يقل الله تعالى من قبل أن يتماسا » قال أعجبتنى ، قال « أمسك حتى تكفر » ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا وإسمعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم وفيه من الفقة أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة وقوله تعالى (ذلكم توعظون به) أى تزجرون به (والله بما تعملون خبير) أى خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم

وقوله تعالى (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطيع فاطعام ستين مسكينا) قد تقدمت الأحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت فى الصحيحين فى قصة الذى جامع امرأته فى رمضان (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أى شرعنا هذا لهذا وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أى محارمه فلا تنتهكوها وقوله تعالى (وللكافرين عذاب أليم) أى الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الأمر كما زعموا بل لهم عذاب أليم أى فى الدنيا والآخرة

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه (كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) أى أهينوا ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم (وقد أنزلنا آيات بينات) أى واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر (وللكافرين عذاب مهين) أى فى مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه

ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد (فينبئهم بما عملوا) أى فيخبرهم بالذى صنعوا من خير وشر (أحصاه الله ونسوه) أى ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا (والله على كل شىء شهيد) أى لا يغيب عنه شىء ولا يخفى ولا ينسى شيئا ، ثم قال تعالى مخبرا عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة) أى من سر ثلاثة (إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) أى مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضا معه ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) وقال تعالى (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون) ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولاشك فى إرادة ذلك ، ولكن سمعه أيضا مع علمه محيط بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شىء ، ثم قال تعالى (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم) قال الإمام أحمد افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) قال اليهود، وكذا قال مقاتل ابن حيان وزاد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى فأنزل الله تعالى (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي حدثني سفيان بن حمزة عن كثير عن زيد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال: كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « ما هذه النجوى؟ ألم تنهوا عن النجوى؟ » قلنا تبنا إلى الله يارسول الله إنا كنا في ذكر المسيح فرقا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟ » قلنا بلى يا رسول الله! قال « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل » هذا إسناد غريب وفيه بعض الضعفاء. وقوله تعالى (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أي يتحدثون فيما بينهم بالاثم وهو ما يختص بهم (والعدوان) وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها وقوله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن مسروق عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السام قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش » قلت ألا تسمعهم يقولون السام عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو ما سمعت أقول وعليكم؟ » فأنزل الله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم: عليكم السام والذام واللعنة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا » وقال ابن جرير: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم فردوا عليه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما قال؟ » قالوا سلم يارسول الله قال « بل قال سام عليكم » أي تسامون دينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوه » فردوه عليه فقال نبي الله « أقلت سام عليكم » قال نعم فقال رسول الله ﷺ « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك » أي عليك ما قلت، وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه

وقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام وإنما هو شتم في الباطن ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسره فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة (يصلونها فبئس المصير)، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عطاء ابن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سام عليك ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول؟ فنزلت هذه الآية (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) إسناد حسن ولم يخرجوه؛ وقال العوفي عن ابن عباس (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه سام عليك قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) ثم قال الله تعالى مؤدباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أي كما يتناجى به الجهلة

من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون) أى فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التى قد أحصاها عليكم وسيجزيكم بها ،قال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا أخبرنا همام عن قتادة عن صفوان بن محرز قال : كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أن قد هلك قال فانى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » أخرجاه فى الصحيحين من حديث قتادة

ثم قال تعالى (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى إنما النجوى وهى المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءا (من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) يعنى إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه (ليحزن الذين آمنوا) أى ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئا إلا باذن الله ومن أحس من ذلك شيئا فليستعذ بالله وليتوكل على الله فانه لا يضره شىء باذن الله

وقد وردت السنة بالنهى عن التناجى حيث يكون فى ذلك تأذ على مؤمن كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا: حدثنا الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه» أخرجاه من حديث الأعمش . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فان ذلك يحزنه » انفرد باخراجه مسلم عن أبى الربيع وأبى كامل كلاهما عن حماد بن زيد عن أيوب به

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى مؤدبا عباده المؤمنين وآمرا لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض فى المجالس (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس) وقرىء (فى المجلس) (فافسحوا يفسح الله لكم)وذلك أن الجزاء من جنس العمل كما جاء فى الحديث الصحيح « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتاً فى الجنة » وفى الحديث الآخر « ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » ولهذا أشباه كثيرة ولهذا قال تعالى (فافسحوا يفسح الله لكم) قال قتادة نزلت هذه الآية فى مجالس الذكر وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله ﷺ يومئذ فى الصفة وفى المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فرد النبى ﷺ عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبى ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر « قم يا فلان وأنت يافلان» فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجوههم فقال المنافقون ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس ؟ والله ما رأيناه قبل عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال « رحم الله رجلا يفسح لأخيه » فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم لاخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم وقد قال الامام أحمد والشافعي حدثنا سفيان عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا » وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به . وقال الشافعي أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال : قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا » على شرط السنن ولم يخرجوه. وقال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا فليح عن أيوب عن عبد الرحمن بن صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » ورواه أيضا عن شريح بن يونس ويونس بن محمد المؤدب عن فليح به ولفظه « لا يقوم الرجل الرجل من مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » تفرد به أحمد . وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من رخص في ذلك محتجا بحديث « قوموا إلى سيدكم » ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث « من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فانه لما استقدمه النبي ﷺ حاكما في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين « قوموا إلى سيدكم » وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم . فأما اتخاذه ديدنا فانه من شعار العجم . وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله ﷺ وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك .

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم فالصديق رضي الله عنه يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره ، وبين يديه غالبا عثمان وعلي لأنهما كانا ممن يكتب الوحي وكان يأمرهما بذلك كما رواه مسلم من حديث الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي معمر عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول : « ليلني منكم أولو الأرحام والنهى ثم الذين يلونهم » ثم الذين يلونهم وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر إما لتقصير أولئك في حق البدريين أو ليأخذ البدريون من العلم نصيبهم كما أخذ أولئك قبلهم أو تعليما بتقديم الأفاضل إلى الامام وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمارة بن عمير الليثي عن أبي معمر عن أبي مسعود قال كان سول الله ﷺ يمسح منا كبنا في الصلاة ويقول « استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافا ، وكذا رواه مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طرق عن الأعمش به وإذا كان هذا أمره لهم في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء فبطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات الشيطان ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله » ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلا يكون من أفناد الناس ويدخل هو في الصف المقدم ويحتج بهذا الحديث « ليلني منكم أولو الأحلام والنهى » وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملا بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه ولنقتصر على هذا القدار من الانموذج المتعلق بهذه الآية وإلا فبسطه يحتاج إلى غير هذا الوضع وفي الحديث الصحيح بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل ثلاثة نفر فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها وأما الآخر فجلس وراء الناس وأدبر الثالث ذاهبا فقال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بخبر الثلاثة ، أما الأول فآوى إلى الله فآواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه » وقال الامام أحمد حدثنا عتاب بن زياد أخبرنا عبد الله أخبرنا أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لايحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » ورواه أبو داود والترمذى من حديث أسامة بن زيد الليثى به وحسنه الترمذى. وقد روى عن ابن عباس والحسن البصرى وغيرهما أنهم قالوا فى قوله تعالى (إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) يعنى فى مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى انهضوا للقتال وقال قتادة (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا وقال مقاتل إذا دعيتم الى الصلاة فارتفعوا اليها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا إذا كانوا عند النبى ﷺ فى بيته فأرادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجا من عنده فربما يشق ذلك عليه، عليه السلام وقد تكون له الحاجة فأمروا انهم إذا أمروا بالانصراف ان ينصرفوا كقوله تعالى (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا)

وقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أى لاتعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو اذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصا فى حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لايضيع ذلك له بل يجزيه بها فى الدنيا والآخرة فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أى خبير بمن يستحق ذلك وبمن لايستحقه ، قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبى الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقى عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادى ؟ قال استخلفت عليهم ابن أبزى رجل من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاص ، فقال عمر رضى الله عنه أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال « إن الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين » وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهرى به ، وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم وأهله وماورد فى ذلك من الأحاديث مستقصاة فى شرح كتاب العلم من صحيح البخارى ولله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجى رسول الله ﷺ أى يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدى ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فان لم تجدوا) أى إلامن عجز عن ذلك لفقره (فإن الله غفور رحيم) فما أمر بها إلا من قدر عليها . ثم قال تعالى (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أى أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا على بن أبى طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به ثم ناجى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد قال على رضى الله عنه : آية فى كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان عندى دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى ، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم

الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) الآية . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبى الجعد عن على بن علقمة الأنمارى عن على رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ « ماترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقون قال « نصف دينار » قال لايطيقون قال « ماترى ؟ » قال شعيرة فقال له النبى ﷺ « إنك لزهيد » قال فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) قال على : فبى خفف الله عن هذه الأمة . ورواه الترمذى عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الأشجعى عن سفيان الثورى عن عثمان ابن المغيرة الثقفى عن سالم بن أبى الجعد عن على بن علقه الأنمارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) إلى آخرها قال لى النبى ﷺ « ما ترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ، ثم قال هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعنى وزن شعيرة من ذهب ورواه أبو يعلى عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن آدم به . وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ـ إلى ـ فان الله غفور رحيم) كان المسلمون يقدمون بين يدى النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسئلة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصرى فى قوله تعالى (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) نسختها الآية التى بعدها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) إلى آخرها . وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة فضجروه الله بهذه الآية فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبى الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله الرخصة بعد ذلك (فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم)

وقال معمر عن قتادة (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) إنها منسوخة ماكانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال على ما عمل بها أحد غيرى حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت إلا ساعة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ * ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

يقول الله تعالى منكرا على المنافقين فى موالاتهم الكفار فى الباطن وهم فى نفس الأمر لامعهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال ههنا (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم فى الباطن ثم قال تعالى (ماهم منكم ولا منهم) أى هؤلاء المنافقون ليسوا فى الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى

(ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعنى المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهى اليمين الغموس ولا سيما فى مثل حالهم اللعين عياذا بالله منه فانهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا جاءوا الرسول حلفوا له بالله أنهم مؤمنون وهم فى ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإن كان فى نفس الأمر مطابقا ولهذا شهد الله بكذبهم فى أيمانهم وشهادتهم لذلك . ثم قال تعالى (أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون) أى أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهى موالاة الكافرين ونصحهم ومعاداة المؤمنين وغشهم ولهذا قال تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أى أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالأيمان الكاذبة فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس (فلهم عذاب مهين) أى فى مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم فى الأيمان الكاذبة الحانثة ثم قال تعالى (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أى لن يدفع ذلك عنهم بأسا إذا جاءهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) أى يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدا (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء) أى يحلفون بالله عزوجل أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس فى الدنيا لأن من عاش على شىء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ولهذا قال (ويحسبون أنهم على شىء) أى حلفهم ذلك لربهم عزوجل . ثم قال تعالى منكرا عليهم حسبانهم (ألا إنهم هم الكاذبون) فأكد الخبر عنهم بالكذب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل حدثنا زهير عن سماك بن حرب حدثنى سعيد بن جبير أن ابن عباس حدثه أن النبى ﷺ كان فى ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال « إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعينى شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه » فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال « علام تشتمنى أنت وفلان وفلان » نفر دعاهم بأسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه قال فانزل الله عزوجل (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون)

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن سماك به ورواه ابن جرير عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن سماك به نحوه ، وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثورى عن سماك بنحوه إسناد جيد ولم يخرجوه وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) ثم قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) أى استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله عزوجل وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ، ولهذا قال أبو داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زائدة حدثنا السائب بن حبيش عن معدان بن أبى طلحة اليعمرى عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية » قال زائدة قال السائب يعنى الصلاة فى الجماعة . ثم قال تعالى (أولئك حزب الشيطان) يعنى الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . ثم قال تعالى (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

﴿ الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله يعني الذين هم في حد والشرع في حد أي مجانبون للحق مشاقون لهم في ناحية والهدى في ناحية (أولئك في الأذلين) أي في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) أي قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة (وأن العاقبة للمتقين) كما قال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال ههنا (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) أي كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) الآية وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته . وقيل في قوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر (أو أبناءهم) في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن (أو إخوانهم) في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ (أو عشيرتهم) في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم

﴿ قلت ﴾ ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في أساري بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم وقال عمر لا أرى ما رأى يا رسول الله هل تمكنني من فلان قريب لعمر فأقتله ، وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين القصة بكمالها وقوله تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) أي من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته قال السدي (كتب في قلوبهم الإيمان) جعل في قلوبهم الإيمان وقال ابن عباس (وأيدهم بروح منه) أي قواهم وقوله تعالى (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه) كل هذا تقدم تفسيره غير مرة ، وفي قوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم . وقوله تعالى (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) أي هؤلاء حزب الله أي عباد الله وأهل كرامته وقوله تعالى (ألا إن حزب الله هم المفلحون) تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن حميد الواسطي حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سماه فقال هو عبد الحميد بن سليمان انقطع من كتابي عن الديال بن عباد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري : اعلم أن الجاه جاهان جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه ، وانهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله

عليه وسلم «إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة» فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) وقال نعيم بن حماد حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال . قال رسول الله ﷺ « اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى يدا ولا نعمة فانى وجدت فيما أوحيته إلى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) » قال سفيان يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان رواه أبو أحمد العسكرى . آخر تفسير سورة المجادلة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الحشر وهى مدنية ﴾

﴿ وكان ابن عباس يقول : سورة بنى النضير ﴾

قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ، قال أنزلت فى بنى النضير ورواه البخارى ومسلم من وجه آخر عن هشيم به ، ورواه البخارى من حديث أبى عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ؟ قال سورة بنى النضير

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * هُوَ ٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَٰٓأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ * وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

يخبر تعالى أن جميع ما فى السموات والأرض من شىء يسبح له ويمجده ويقدسه ويصلى له ويوحده كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقوله تعالى (وهو العزيز) أى منيع الجناب (الحكيم) فى قدره وشرعه وقوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى يهود بنى النضير . قاله ابن عباس ومجاهد والزهرى وغير واحد كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذى لا مرد له وأنزل عليهم قضاءه الذى لا يصد فأجلاهم النبى ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة التى ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله فما أغنى عنهم من الله شيئا وجاءهم من الله ما لم يكن يبالهم وسيرهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالى الشام وهى أرض المحشر والنشر ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر ، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم فكانوا يخربون ما فى بيوتهم من المنقولات التى يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار) أى تفكروا فى عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المخزى له فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من العذاب الأليم ، قال أبو داود حدثنا محمد بن داود وسفيان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبى ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبى ومن كان معه يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة

قبل رجعة بدر إنكم أدنيتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنخرجنكم أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان أجمعوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم فقال « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم يريدون أن يقاتلوا أبناءكم وإخوانكم » فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء وهو الخلاخيل فلما بلغ كتابهم النبي صلى الله عليه وسلم أيقنت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم اخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك ليخرج منا ثلاثون حبرا حتى نلتقي بمكان النصف وليسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحصرهم فقال لهم « إنكم والله لا تؤمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها وكان نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) تقول بغير قتال فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذوي حاجة ولم يقسم من الأنصار غيرهما وبقي منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في أيدي بني فاطمة ، ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان .

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير أنه لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه وكانوا سبعين وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري فلما كان في أثناء الطريق راجعا إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد قتلت رجلين لأدينهما » وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها . قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما فيما حدثني يزيد بن رومان وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم — فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا اليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها ؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل وسويد

وداعس قد بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الابل من أموالهم إلا الحلقة ففعلوا فاحتملوا من اموالهم مااستقلت به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة - سماك بن خرشة - ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها . قال ابن إسحاق وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول صلى الله عليه وسلم قال ليامين « ألم تر مالقيت من ابن عمك وماهم به من شأنى » فجعل يامين بن عمرو لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون . قال ابن إسحاق ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق بنحو ماتقدم فقوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى بنى النضير (من ديارهم لأول الحشر) . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن أبى سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال : من شك فى أن أرض المحشر ههنا يعنى الشام فليقرأ هذه الآية (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجوا » قالوا إلى أين ! قال « إلى أرض المحشر » وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن قال لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير قال « هذا أول الحشر وأنا على الأثر » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن به

وقوله تعالى (ماظننتم أن يخرجوا) أى فى مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها ولهذا قال تعالى (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أى جاءهم من أمر الله مالم يكن لهم فى بال كما قال تعالى فى الآية الأخرى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)

وقوله تعالى (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذى نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه . وقوله (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم وتحملها على الابل وكذلك قال عروة بن الزبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد ، وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلهم فاذا ظهر على درب أودار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال وكان اليهود إذا علوا مكانا أو غلبوا على درب أودار نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودربوها يقول الله تعالى (فاعتبروا يا أولى الأبصار) . وقوله (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا) أى لو أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفى من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبى ونحو ذلك قاله الزهرى عن عروة والسدى وابن زيد لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم فى الدار الدنيا مع ما أعدلهم فى الدار الآخرة من العذاب فى نار جهنم . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثنى الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة بن الزبير قال ثم كانت وقعة بنى النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهى السلاح فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الشام قال والجلاء أنه كتب عليهم فى آى من التوراة وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ماسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيهم (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض - إلى قوله - وليخزى

الفاسقين) وقال عكرمة :الجلاء القتل وفى رواية عنه الفناء، وقال قتادة الجلاء خروج الناس من البلد إلى البلد وقال الضحاك أجلاهم إلى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيرا وسقاء فهذا الجلاء

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أحمد بن كامل القاضى حدثنا محمد بن سعيد العوفى حدثنى أبى عن عمى حدثنى أبى عن جدى عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء ، والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى وروى أيضا من حديث يعقوب بن محمد الزهرى عن إبراهيم بن جعفر عن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بنى النضير وأمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاثة أيام . وقوله تعالى (ولهم فى الآخرة عذاب النار) أى حتم لازم لابد لهم منه . وقوله تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين فى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ثم قال (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) . وقوله تعالى (ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين) اللين نوع من التمر وهو جيد . قال أبو عبيدة وهو ماخالف العجوة والبرنى من التمر ، وقال كثيرون من المفسرين : اللينة ألوان التمر سوى العجوة . قال ابن جرير هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو البويرة أيضا وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهابا وإرعابا لقلوبهم ، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله ﷺ إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة أى ماقطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشيئته وقدره ورضاه وفيه نكاية بالعدو وخزى لهم ، وإرغام لأنوفهم . وقال مجاهد نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل وقالوا إنما هى مغانم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وإنما قطعه وتركه بإذنه ، وقد روى نحو هذا مرفوعا فقال النسائى أخبرنا الحسن بن محمد بن عفان حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبى عمر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله (ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين) قال يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحاك فى صدورهم فقال المسلمون : قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله (ماقطعتم من لينة) وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حفص عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر وعن أبى الزبير عن جابر قال رخص لهم فى قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا فأنزل الله عزوجل (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع نخل بنى النضير وحرق ، وأخرجه صاحبا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه ولفظ البخارى من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال حاربت النضير وقريظة فأجلى بنى النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل من رجالهم وسبى وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبى ﷺ فأمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بنى حارثة وكل يهود بالمدينة ، ولهما أيضا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فأنزل الله عز وجل فيه (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين)

وللبخارى رحمه الله من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

وهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبوسفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنيع وحرق فى نواحيها السعير ستعلم أينا منها بنزه وتعلم أى أرضينا نضير

كذا رواه البخارى ولم يذكره ابن إسحاق ، وقال محمد بن إسحاق وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل ابن الأشرف

لقد خزيت بغدرتها الحبور كذاك الدهر ذوصرف يدور وذلك أنهم كفروا برب
عظيم أمره أمر كبير وقد أوتوا معا فهما وعلما وجاءهمو من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا وآيات مبينة تنير فقالوا ما أوتيت بأمر صدق
وأنت بمنكر منا جدير فقال بلى لقد أديت حقا يصدقنى به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد ومن يكفر به يجز الكفور فلما أشربوا غدرا وكفرا
وجد بهم عن الحق النفور أرى الله النبى برأى صدق وكان الله يحكم لايجور
فأيده وسلطه عليهم وكان نصيره نعم النصير فغودر منهمو كعب صريعا
فذلت بعد مصرعه النضير على الكفين ثم وقد علته بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا إلى كعب أخا كعب يسير فما كره فأنزله بمكر
ومحمود أخو ثقة جسور فتلك بنو النضير بدار سوء أبادهمو بما اجترم المبير
غداة أتاهمو فى الزحف زهوا رسول الله وهو بهم بصير وغسان الحماة موازروه
على الأعداء وهو لهم وزير فقال السلم ويحكمو فصدوا وحالف أمرهم كذب وزور

فذاقوا غب أمرهمو وبالا لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع وغودر منهمو نخل ودور

قال وكان مما قيل من الأشعار فى بنى النضير قول ابن القيم العبسى ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف ، قال ابن هشام الأشجعى :

أهلى فداء لامرىء غير هالك أجلى اليهود بالحسى المزنم يقيلون فى جمر العضاه وبدلوا
أهيضب عوذا بالودى لكمم فان يك ظنى صادقا بمحمد يروا خيله بين الصلا ويرمرم
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم عدو وما حى صديق كمجرم عليهن أبطال مساعير فى الوغى
يهزون أطراف الوشيج القوم وكل رقيق الشفرتين مهند تورث من أزمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عنى قريشا رسالة فهل بعدهم فى المجد من متكرم بأن أخاكم فاعلمن محمدا
تليد الندى بين الحجون وزمزم فدينوا له بالحق تحسم أموركم وتسموا من الدنيا إلى كل معظم
نبى تلافته من الله رحمة ولا تسألوه أمر غيب مرجم فقد كان فى بدر لعمرى عبرة
لكم ياقريش والقليب اللملم غداة أتى فى الخزرجية عامدا إليكم مطيعا للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكى عدوه رسولا من الرحمن حقا بمعلم رسولا من الرحمن يتلوكتابه
فلما أنار الحق لم يتلعثم أرى أمره يزداد فى كل موطن علوا لأمر حمه الله محكم

وقد أورد ابن إسحاق رحمه الله ههنا أشعارا كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل للقصة تركنا باقيها اختصارا واكتفاء بما ذكرناه ولله الحمد والمنة . قال أبو إسحاق كانت وقعة بنى النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة ، وحكى البخارى عن الزهرى عن عروة أنه قال كانت وقعة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

يقول تعالى مبينا ما الفيء وما صفته وماحكمه فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كأموال بنى النضير هذه فانها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، أى لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذى ألقى الله فى قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ فأفاءه الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين فى وجوه البر والمصالح التى ذكرها الله عزوجل فى هذه الآيات فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم) أى من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) يعنى الابل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير) أى هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شىء ثم قال تعالى (ما أفاء على رسوله من أهل القرى) أى جميع البلدان التى تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بنى النضير ولهذا قال تعالى (فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) إلى آخرها والتى بعدها فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو ومعمر عن الزهرى عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضى الله عنه قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته ، وقال مرة قوت سنته وما بقى جعله فى الكراع والسلاح فى سبيل الله عزوجل هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصرا ، وقد أخرجه الجماعة فى كتبهم إلا ابن ماجه من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن الزهرى به وقد رويناه مطولا . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا الحسن بن على ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالا حدثنا بشر بن عمر الزهرانى حدثنى مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس قال أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين تعالى النهار فجئته فوجدته جالسا على سرير مفضيا إلى رماله فقال حين دخلت عليه : يا مال إنه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم بشىء فاقسم فيهم ، قلت لو أمرت غيرى بذلك فقال خذه فجاءه يرفا فقال ياأمير المؤمنين هل لك فى عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص؟ قال نعم فأذن لهم فدخلوا ثم جاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك فى العباس وعلى قال نعم ، فأذن لهما فدخلا فقال العباس يا أمير المؤمنين : اقض بينى وبين هذا يعنى عليا ، فقال بعضهم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرحهما ، قال مالك بن أوس خيل إلى أنهما قدما أولئك النفر لذلك ، فقال عمر رضى الله عنه اتئد ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » قالوا نعم ثم أقبل على على والعباس فقال أنشدكما بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ماتركنا صدقة » فقالا نعم فقال إن الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحدا من الناس فقال تعالى (ومأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير) فكان الله تعالى أفاء على رسله أموال بنى النضير فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة ويجعل ما بقى اسوة المال ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ذلك ؟ قالوا نعم ثم أقبل على على والعباس

فقال أنشدكما بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان ذلك ؟ قالا نعم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أنت وهذا إلى أبى بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « لانورث ماتركنا صدقة » والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر ، فلما توفى قلت أنا ولى رسول الله ﷺ وولى أبى بكر فوليتها ما شاء الله أن أليها فجئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فسألتمانيها فقلت إن شئتما فانا أدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تليانها بالذى كان رسول الله ﷺ يليها فأخذتماها منى على ذلك ثم جئتمانى لأقضى بينكما بغير ذلك والله لا أقضى بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنها فردانها إلى ، أخرجوه من حديث الزهرى به . قال الإمام أحمد حدثنا عارم وعفان قالا أخبرنا معمر سمعت أبى يقول حدثنا أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال فجعل يرد بعد ذلك ، قال وإن أهلى امرونى أن آتى النبى صلى الله عليه وسلم فأسأله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبى الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاه أم ايمن أو كما شاء الله قال فسألت النبى صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى وجعلت تقول كلا والله الذى لا إله إلا هو لا يعطيكهن وقد اعطانيهن أو كما قالت فقال نبى الله « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله قال ويقول « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله ، قال « ويقول لك كذا وكذا » قال حتى أعطاها حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريبا من عشرة امثاله أو كما قال رواه البخارى ومسلم من طرق عن معمر به وهذه المصارف المذكورة فى هذه الآية هى المصارف المذكورة فى خمس الغنيمة وقد قدمنا الكلام عليها فى سورة الأنفال بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد وقوله تعالى (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أى جعلنا هذه المصارف لمال الفىء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أن مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فانه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر قال ابن أبى حاتم حدثنا يحيى بن أبى طالب حدثنا عبد الوهاب حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن العوفى عن يحيى بن الجزار عن مسروق قال جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت بلغنى أنك تنهى عن الواشمة والواصلة أشىء وجدته فى كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ ؟ قال بلى شىء وجدته فى كتاب الله وعن رسول الله ﷺ قالت والله لقد تصفحت ما بين دفتى المصحف فما وجدت فيه الذى تقول قال فما وجدت فيه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى قال فانى سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة ، قالت فلعله فى بعض أهلك ، قال فادخلى فانظرى فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت ما رأيت بأسا فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله عز وجل قال فبلغ امرأة من بنى أسد فى البيت يقال لها أم يعقوب فجاءت إليه فقالت بلغنى أنك قلت كيت وكيت ، قال مالى لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفى كتاب الله تعالى ، فقالت إنى لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته ، فقال إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه أنا قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى ؟ قال فان رسول الله ﷺ نهى عنه قالت إنى لأظن أهلك يفعلونه ، قال اذهبى فانظرى فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا فجاءت فقالت ما رأيت شيئا قال لو كان كذا لم تجامعنا . أخرجاه فى الصحيحين من حديث سفيان الثورى ، وقد ثبت فى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ، ومانهيتكم عنه فاجتنبوه وقال النسائى أخبرنا أحمد بن سعيد حدثنا يزيد حدثنا منصور بن حيان عن سعيد بن جبير عن عمرو ابن عباس أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقوله تعالى (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) أى اتقوه فى امتثال أوامره وترك زواجره فانه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وار تكب ما عنه زجره ونهاه

﴿ لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفىء أنهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه (وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) أى هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين . ثم قال تعالى مادحا الأنصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) أى سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر : وأوصى الخليفة بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم رواه البخارى ههنا أيضا . قوله تعالى (يحبون من هاجر اليهم) أى من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال : قال المهاجرون يارسول الله مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال « لاما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » لم أره فى الكتب من هذا الوجه

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال دعا النبى صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا لا إلا أن تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها قال « إما لافاصبروا حتى تلقونى فانه سيصيبكم أثرة » تفرد به البخارى من هذا الوجه . وقال البخارى حدثنا الحكم ابن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا أتكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا . تفرد به دون مسلم (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) أى ولا يجدون فى أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم فى الذكر والرتبة . قال الحسن البصرى (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) يعنى الحسد (مما أوتوا) قال قتادة يعنى فيما أعطى إخوانهم . وكذا قال ابن زيد ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن أنس قال : كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان فى اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إنى لاحيت أبى فأقسمت أنى لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤوينى إليك

حتى تمضى فعلت قال « نعم » قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرا ، فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت ياعبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ا قال ما هو إلا ما رأيت ، فلما وليت دعانى فقال : ماهو إلا مارأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله فهذه التى بلغت بك وهى التى لاتطاق ، ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهرى عن رجل عن أنس فالله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) يعنى مما أوتوا المهاجرون قال وتكلم فى أموال بنى النضير بعض من تكلم فى الأنصار فعاتبهم الله فى ذلك فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير) قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو غير ذلك » قالوا وماذاك يارسول الله ؟ قال « هم قوم لايعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » فقالوا نعم يارسول الله . وقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) يعنى حاجة أى يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم فى حال احتياجهم إلى ذلك

وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أفضل الصدقة جهد المقل » وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) وقوله (وآتى المال على حبه) فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ماتصدقوا به وقد لايكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه ، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضى الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أبقيت لأهلك ؟ » فقال رضى الله عنه أبقيت لهم الله ورسوله ، وهكذا الماء الذى عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء فرده الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضى الله عنهم وأرضاهم . وقال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعى عن أبى هريرة قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصابنى الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله » فقام رجل من الأنصار فقال أنا يارسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتدخرى شيئا فقالت والله ما عندى إلا قوت الصبية قال فاذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فأطفىء السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لقد عجب الله عز وجل ـ أوضحك ـ من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكذا رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن فضيل بن غزوان به نحوه ، وفى رواية لمسلم تسمية هذا الأنصارى بأبى طلحة رضى الله عنه

وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أى من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح

قال أحمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » انفرد باخراجه مسلم فرواه عن القعنبى عن داود بن قيس به .

وقال الأعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائى من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبى صالح عن صفوان بن أبى يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبدا » وقال ابن أبى حاتم ثنا أبى حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا المسعودى عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال جاء رجل إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن إنى أخاف أن أكون قد هلكت فقال له عبد الله وماذاك ؟ قال سمعت الله يقول (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدى شيئا فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ، إنما الشح الذى ذكر الله فى القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشىء البخل . وقال سفيان الثورى عن طارق ابن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبى الهياج الأسدى قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول اللهم قنى شح نفسى . لا يزيد على ذلك فقلت له فقال إنى إذا وقيت شح نفسى لم أسرق ولم أزن ولم أفعل وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه . رواه ابن جرير . وقال ابن جرير حدثنى محمد بن إسحق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا مجمع بن جارية الأنصارى عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : برىء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائبة . وقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفىء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال فى آية براءة (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم فى السر والعلانية ، ولهذا قال تعالى فى هذه الآية الكريمة (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) أى قائلين (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى بغضا وحسدا (للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضى الذى يسب الصحابة ليس له فى مال الفىء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء فى قولهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وقال ابن أبى حاتم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى حدثنا محمد بن بشر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) الآية وقال إسماعيل بن علية عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم . سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » رواه البغوى ، وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن الزهرى قال : قال عمر رضى الله عنه (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) قال الزهرى : قال عمر رضى الله عنه : هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقرى عرينة وكذا وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل — وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم — والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم — والذين جاءوا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق . قال أيوب — أو قال حظ — إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع . وقال ابن جرير حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة

ابن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب (إنما الصدقات للفقراء والمساكين — حتى بلغ — عليم حكيم) ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذى القربى) الآية ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى — حتى بلغ — للفقراء — والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم — والذين جاءوا من بعدهم) ثم قال : استوعبت هذه للمسلمين عامة وليس أحد إلا وله فيها حق ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعى وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ * لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبى وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بنى النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصركم) قال الله تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون) أى لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولا ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به وإما لأنهم لا يقع منهم الذى قالوه ولهذا قال تعالى (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) أى لا يقاتلون معهم (ولئن نصروهم) أى قاتلوا معهم (ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) وهذه بشارة مستقلة بنفسها ، ثم قال تعالى (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) أى يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقوله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ولهذا قال تعالى (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ثم قال تعالى (لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر) يعنى أنهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة بل إما فى حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة . ثم قال تعالى (بأسهم بينهم شديد) أى عداوتهم فيما بينهم شديدة كما قال تعالى (ويذيق بعضكم بأس بعض) ولهذا قال تعالى (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف قال إبراهيم النخعى يعنى أهل الكتاب والمنافقين (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) . ثم قال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم) قال مجاهد والسدى ومقاتل بن حيان يعنى كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى يهود بنى قينقاع وكذا قال قتادة ومحمد بن إسحق وهذا القول أشبه بالصواب فان يهود بنى قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا . وقوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك) يعنى مثل هؤلاء اليهود فى اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة مثالهم فى هذا كمثل الشيطان إذ سول للانسان — والعياذ بالله — الكفر فإذا دخل فيما سوله له تبرأ منه وتنصل وقال (إنى أخاف الله رب العالمين) . وقد ذكر بعضهم

هنا قصة لبعض عباد بنى إسرائيل هى كالمثال لهذا المثل لا أنها المرادة وحدها بالمثل بل هى منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها ، فقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبى إسحاق سمعت عبدالله ابن نهيك قال سمعت علياً رضى الله عنه يقول إن راهباً تعبد ستين سنة وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنها ولها إخوة فقال لإخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاءوا بها إليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك أعييتنى أنا صنعت هذا بك فأطعنى أنجك مما صنعت بك فاسجد لى سجدة فسجد له فلما سجد له قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين فذلك قوله (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى اخاف الله رب العالمين)

وقال ابن جرير حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى حدثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عمارة عن عبدالرحمن ابن يزيد عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآيه (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى اخاف الله رب العالمين) قال كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها اربعة إخوة وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فانك رجل مصدق يسمع قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان إخوتها فى المنام فقال لهم إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها فى مكان كذا وكذا فلما اصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدرى أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا لا بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ؟ قالوا فوالله ما هذا إلا لشىء قال فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال انى أنا الذى أوقعتك فى هذا ولن ينجيك منه غيرى فاسجد لى سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه قال فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل وكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا والله أعلم . وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فان جريجا اتهمته امرأة بغى بنفسها وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولى الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول مالكم مالكم . قالوا ياعدو الله فعلت بهذه المرأة كذ وكذا ، فقال جريج اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ثم قال يا غلام من أبوك . قال أبى الراعى وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغاً وقالوا نعيد صومعتك من ذهب ، قال لا بل أعيدوها من طين كما كانت وقوله تعالى (فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها) أى فكان عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها (وذلك جزاء الظالمين) أى جزاء كل ظالم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن أبى جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة محتابى النمار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال « يا أيها الناس اتقو ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة - إلى آخر الآية وقرأ الآية التى فى الحشر - ولتنظر نفس ما قدمت لغد - تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره - حتى قال - ولو بشق تمرة » قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه كأنه

مذهبة فقال رسول الله ﷺ « من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » انفرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناده مثله فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر

وقوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم (واتقوا الله) تأكيد ثان (إن الله خبير بما تعملون) أى اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم واحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير . وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أى لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لصالح أنفسكم التى تنفعكم فى معادكم فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (أولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا المغيرة حدثنا جرير بن عثمان عن نعيم بن نمحة قال كان فى خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم . فمن استطاع أن يقضى الأجل وهو فى عمل الله عزوجل فليفعل ولن تنالوا ذلك إلا بالله عزوجل ، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله عزوجل أن تكونوا أمثالهم (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا فى أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط . قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستضيئوا بسنائه وبيانه ، إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) لا خير فى قول لا يراد به وجه الله ولا خير فى مال لا ينفق فى سبيل الله . ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف فى الله لومة لائم . هذا إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات ، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفى ولا إثبات غير أن أبا داود السجستانى قد حكم بأن شيوخ جرير كلهم ثقات وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر والله أعلم . وقوله تعالى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) أى لا يستوى هؤلاء وهؤلاء فى حكم الله تعالى يوم القيامة كما قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض . أم نجعل المتقين كالفجار) . فى آيات أخر دالات على أن الله تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار ولهذا قال تعالى ههنا (أصحاب الجنة هم الفائزون) أى الناجون المسلمون من عذاب الله عزوجل

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى معظما لأمر القرآن ومبينا علو قدره وأنه ينبغى أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من

الوعد الحق والوعيد الأكيد (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أى فإذا كان الجبل فى غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبرما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لاتلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ولهذا قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) قال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا) إلى آخرها يقول لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله ، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ثم قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وكذا قال قتادة وابن جرير . وقد ثبت فى الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبى ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبى الذى يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحى عنده ففى بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصرى بعد ايراده فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) الآية وقد تقدم أن معنى ذلك أى لكان هذا القرآن وقد قال تعالى (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) أخبر تعالى أنه الذى لا إله إلا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواه وكل ما يعبد من دونه فباطل وأنه عالم الغيب والشهادة أى يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى الذر فى الظلمات وقوله تعالى (هو الرحمن الرحيم) قد تقدم الكلام على ذلك فى أول التفسير بما أغنى عن إعادته ههنا ، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وقد قال تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء) وقال تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وقال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك) أى المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة وقوله تعالى (القدوس) قال وهب بن منبه أى الطاهر . وقال مجاهد وقتادة أى المبارك وقال ابن جريج تقدسه الملائكة الكرام (السلام) أى من جميع العيوب والنقائص لكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله . وقوله تعالى (المؤمن) قال الضحاك عن ابن عباس أى أمن خلقه من أن يظلمهم وقال قتادة أمن بقوله انه حق وقال ابن زيد صدق عباده المؤمنين فى إيمانهم به وقوله تعالى (المهيمن) قال ابن عباس وغير واحد أى الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله (والله على كل شىء شهيد) وقوله (ثم الله شهيد على ما يفعلون) وقوله (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) الآية وقوله تعالى (العزيز) أى الذى قد عز كل شىء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال تعالى (الجبار المتكبر) أى الذى لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته كما تقدم فى الصحيح « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما عذبته » وقال قتادة : الجبار الذى جبر خلقه على ما يشاء . وقال ابن جرير : الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم . وقال قتادة المتكبر يعنى عن كل سوء ثم قال تعالى (سبحان الله عما يشركون) وقوله تعالى (هو الله الخالق البارئ المصور) الخلق التقدير والبرء هو الفرى وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

أى أنت تنفذ ما خلقت أى قدرت بخلاف غيرك فانه لا يستطيع ما يريد فالخلق التقدير والفرى التنفيذ ومنه يقال

قدر الجلاد ثم فرى أى قطع على ما قدره بحسب ما يريده ، وقوله تعالى (الخالق البارىء المصور) أى الذى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التى يريد والصورة التى يختار كقوله تعالى (فى أى صورة ماشاء ركبك) ولهذا قال المصور أى الذى ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التى يريدها وقوله تعالى (له الأسماء الحسنى) قد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الاعراف . ونذكر الحديث المروى فى الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » وتقدم سياق الترمذى وابن ماجه له عن أبى هريرة أيضا وزاد بعد قوله : «وهو وتر يحب الوتر» . واللفظ للترمذى : «هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المعطى ، المانع ، الضار النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى . الوارث ، الرشيد ، الصبور . وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير وقد قدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (يسبح له ما فى السموات والأرض) كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) وقوله تعالى (وهو العزيز) أى فلا يرام جنابه (الحكيم) فى شرعه وقدره وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا خالد يعنى ابن طهمان أبو العلاء الخفاف حدثنا نافع بن أبى نافع عن معقل بن يسار عن النبى ﷺ قال « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة » ورواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن أبى أحمد الزبيرى به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . آخر تفسير سورة الحشر ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الممتحنة وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة فيه حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن حاطبا هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال

« اللهم عم عليهم خبرنا » فعمد حاطب هذا فكتب كتابا وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يدا فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه فبعث فى أثر المرأة فأخذ الكتاب منها وهذا بين فى هذا الحديث المتفق على صحته . قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمه أخبرنى حسن بن محمد بن على أخبرنى عبد الله بن أبى رافع وقال مرة إن عبيد الله بن أبى رافع أخبره أنه سمع عليا رضى الله عنه يقول : بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا أخرجى الكتاب ، قالت ما معى كتاب ، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب ، قال فأخرجت الكتاب من عقاصها فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ياحاطب ماهذا ؟ » قال لا تعجل على إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله ﷺ « إنه صدقكم » فقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به ، وزاد البخارى فى كتاب المغازى فأنزل الله السورة (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) وقال فى كتاب التفسير قال عمرو ونزلت فيه (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) وقال لا أدرى الآية فى الحديث أو قال عمرو قال البخارى قال على يعنى ابن المدينى قيل لسفيان فى هذا نزلت (لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) فقال سفيان هذا فى حديث الناس حفظته من عمرو ماتركت منه حرفا ولا أرى أحدا حفظه غيرى . وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على قال بعثنى رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا الكتاب ؟ فقالت مامعى كتاب فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردنك فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهى محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر يارسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلأضرب عنقه فقال النبى ﷺ « ما حملك على ما صنعت ! » قال حاطب والله مابى إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أردت أن تكون لى عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلى ومالى وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال « صدق لا تقولوا له إلا خيرا » فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلأضرب عنقه فقال « أليس من أهل بدر ! — فقال — لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة — أو قد غفرت لكم — » فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم ، هذا لفظ البخارى فى المغازى فى غزوة بدر . وقد روى من وجه آخر عن على قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسن الهسنجانى حدثنا عبيد بن يعيش حدثنا إسحاق بن سليمان الرازى عن أبى سنان هو سعيد بن سنان عن عمرو بن مرة الجملى عن أبى إسحاق البحترى الطائى عن الحارث عن على قال لما أراد النبى ﷺ أن يأتى مكة أسر إلى أناس من أصحابه انه يريد مكة منهم حاطب بن أبى بلعتة وأفشى فى الناس انه يريد خيبر قال فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس فقال « ائتوا روضة خاخ فانكم ستلقون بها امرأة معها كتاب

فخذوه منها » فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذى ذكر رسول الله ﷺ فقلنا لها هات الكتاب فقالت مامعى كتاب فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده فى متاعها فقال أبومرثد لعله أن لا يكون معها فقلت ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا فقلنا لها لتخرجنه أو لتعرينك ، فقالت أما تتقون الله ! ألستم مسلمين ! فقلنا لتخرجنه أو لتعريتك قال عمرو بن مرة فأخرجته من حجزتها وقال حبيب بن أبى ثابت أخرجته من قبلها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة فقام عمر فقال يارسول الله خان الله ورسوله فائذن لى فلأضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أليس قد شهد بدرا ؟ » قالوا بلى ، قال عمر بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك فقال رسول الله ﷺ « فلعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم إنى بما تعملون بصير » ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال « ياحاطب ماحملك على ماصنعت ؟ » فقال يارسول الله إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وكان لى بها مال وأهل ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله فكتبت بذلك اليهم ووالله يارسول الله إنى لمؤمن بالله ورسوله فقال رسول الله ﷺ « صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيرا » قال حبيب بن أبى ثابت فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الآية وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن أبى سنان سعيد بن سنان باسناده مثله . وقد ذكر ذلك أصحاب المغازى والسير فقال محمد بن إسحاق بن يسار فى السيرة حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم غيره أنها سارة مولاة لبنى عبد المطلب وجعل لها جعلا على أن تبلغه لقريش فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتابا إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا لهم من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالخليفة خليفة بنى أبى أحمد فاستنزلاها بالخليفة فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها على بن أبى طالب إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أولتكشفنك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فقال « ياحاطب ماحملك على هذا ! » فقال يارسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أهل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعنى فلأضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك ياعمر ! لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » فأنزل الله عز وجل فى حاطب (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة — إلى قوله — قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) إلى آخر القصة ، وروى معمر عن الزهرى عن عروة نحو ذلك وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة أنه بعث سارة مولاة بنى هاشم وأنه أعطاها عشرة دراهم وأن رسول الله ﷺ بعث فى أثرها عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنحو ماتقدم ، وعن السدى قريبا منه وهكذا قال العوفى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) يعنى المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم

ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ؟) وقال تعالى (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) ولهذا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذر حاطب لما ذكر انه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد

ويذكر ههنا الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الأجلح عن قيس بن أبى مسلم عن ربعى ابن حراش سمعت حذيفة يقول : ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا واحدا وثلاثة وخمسة وسبعه وتسعة وأحد عشر قال فضرب لنا منها مثلا وترك سائرها قال « إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه » وقوله تعالى (يخرجون الرسول وإياكم) هذا مع ماقبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) أى لم يكن لكم عندهم ذنب الا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) . وقوله تعالى (إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) أى إن كنتم كذلك فلاتتخذوهم أولياء ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى باغين لمرضاتى عنكم فلا توالوا أعدائى وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم وقوله تعالى (تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء) أى لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال (وودوا لو تكفرون) أى ويحرصون على أن لا تنالوا خيرا فهم عدواتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهييج على عداوتهم أيضاً وقوله تعالى (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) أى قراباتكم لاتنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سواء ونفعهم لايصل اليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريبا الى نبى من الأنبياء . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يارسول الله أين أبى قال « فى النار » فلما قفى دعاه فقال « إن أبى وأباك فى النار » ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبرى منهم (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذى معه) أى وأتباعه الذين آمنوا معه (إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم) أى تبرأنا منكم (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أى بدينكم وطريقكم (وبدا بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبدا) يعنى وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم مادمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم (حتى تؤمنوا بالله وحده) أى إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لاشريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد . وقوله تعالى (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) أى لكم فى إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها الا فى استغفار إبراهيم لأبيه فانه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله عز وجل (ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم) . وقال تعالى فى هذه الآية الكريمة (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذى معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم - إلى قوله تعالى - إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وماأملك لك من الله من شىء) أى ليس لكم فى ذلك أسوة أى فى الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد .

ثم قال تعالى مخبرا عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه (فقالوا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) أى توكلنا عليك فى جميع الأمور وسلمنا أمورنا اليك وفوضناها إليك وإليك المصير أى المعاد فى الدار الآخرة (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) قال مجاهد : معناه لاتعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا ، وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة لاتظهرهم علينا فيفتتنو بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه واختاره ابن جرير ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لاتسلطهم علينا فيفتنونا ، وقوله تعالى (واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) أى واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك (إنك أنت العزيز) أى الذى لايضام من لاذ بجنابك (الحكيم) فى أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ماتقدم أيضا لأن هذه الأسوة المثبتة ههنا هى الأولى بعينها ، وقوله تعالى (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد ، وقوله تعالى (ومن يتول) أى عما أمر الله به (فان الله هو الغنى الحميد) كقوله تعالى (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فان الله لغنى حميد) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : الغنى الذى قد كمل فى غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغى إلا له ليس له كفء وليس كمثله شىء سبحان الله الواحد القهار والحميد المستحمد إلى خلقه أى هو المحمود فى جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه

﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) أى محبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة (والله قدير) أى على مايشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة

والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال تعالى ممتنا على الأنصار (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) الآية وكذا قال لهم النبي ﷺ « ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ » وقال الله تعالى (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) ، وفي الحديث « أحبب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما » وقال الشاعر :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقوله تعالى (والله غفور رحيم) أي يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه من أي ذنب كان

وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه ، وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف ، وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال قرىء على محمد بن عزيز حدثني سلامة حدثني عقيل حدثني ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين قال ابن شهاب وهو ممن أنزل الله فيه (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) الآية . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يا رسول الله ثلاث أعطنيهن ، قال « نعم » قال تأمرني أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال « نعم » قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك ، قال « نعم » قال وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها — الحديث — وقد تقدم الكلام عليه. وقوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) ولم يظاهروا أي يعاونوا على إخراجكم أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم (أن تبروهم) أي تحسنوا إليهم (وتقسطوا إليهم) أي تعدلوا (إن الله يحب المقسطين) قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ قال « نعم صلي أمك » أخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها . فسألت عائشة النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) إلى آخر الآية فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها . وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به ، وفي رواية لأحمد وابن جرير قتيلة بنت عبد العزى بن سعد من بني مالك بن حسل وزاد ابن أبي حاتم في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله ﷺ وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن الزهري عن عروة عن عائشة وأسماء أنهما قالتا قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في الهدنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فقلنا يا رسول الله إن أمنا قدمت علينا المدينة وهي راغبة أفنصلها ، قال « نعم فصلاها » ثم قال وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهري عن عروة عن عائشة إلا من هذا الوجه ﴿ قلت ﴾ وهو منكر بهذا السياق لأن أم عائشة هي أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها في هذه الأحاديث المتقدمة والله أعلم ؛ وقوله تعالى (إن الله يحب المقسطين) قد تقدم تفسير ذلك في سورة الحجرات ؛ وأورد الحديث الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا »

وقوله تعالى (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم) أى إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ينهاكم الله عزوجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم . ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾

تقدم فى سورة الفتح ذكر صلح الحديبية الذى وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه : على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلارددته إلينا ، وفى رواية على أنه لايأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهرى ومقاتل بن حيان والسدى فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة فان الله عزوجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن فان علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وقد ذكرنا فى ترجمة عبد الله بن أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبى بكر بن أبى عاصم عن محمد بن يحيى الذهلى عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن مجمع بن يعقوب عن حنين بن أبى أبانة عن عبد الله بن أبى أحمد قال هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى الهجرة فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فيها أن يردها إليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين فى النساء خاصة فمنعهم أن يردوهن إلى المشركين وأنزل الله آية الامتحان . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبى نصر الأسدى قال سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء ، قال كان يمتحنهن بالله ما حرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله ، ثم رواه من وجه آخر عن الأغر بن الصباح به ، وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه أن الذى كان يحلفهن عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم له عمر بن الخطاب ، وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وقال مجاهد (فامتحنوهن) فاسألوهن عما جاء بهن فان كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن إلى أزواجهن ، وقال عكرمة يقال لها ما جاء بك إلا حب الله ورسوله ، وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله (فامتحنوهن) وقال قتادة كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن ، وقوله تعالى (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقينا وقوله تعالى (لا هن حل لهم

ولاهم يحلون لهن) هـذه الآية هى التى حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزا فى ابتداء الاسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ولهذا كان أمر أبى العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب رضى الله عنها وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه فلما وقع فى الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب فى فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا » ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته اليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة رضى الله عنه فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص ابن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الأول ولم يحدث لها صداقا ، كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى حدثنا ابن إسحاق حدثنا داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبى العاص وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ولم يحدث شهادة ولا صداقا ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه ومنهم من يقول بعد سنتين وهو صحيح لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بسنتين وقال الترمذى ليس بإسناده بأس ولا نعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين ، وسمعت عبد بن حميد يقول سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعنى ابن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد ابنته على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد فقال يزيد حديث ابن عباس أجود إسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب ثم قلت وقد روى حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب الامام أحمد والترمذى وابن ماجه وضعفه الإمام أحمد وغير واحد والله أعلم

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل أنه لم تنقض عدتها منه لأن الذى عليه الأكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه . وقال آخرون بل إذا انقضت العدة هى بالخيار إن شاءت أقامت على النكاح واستمرت وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس والله أعلم وقوله تعالى (وآتوهم ما أنفقوا) يعنى أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا اليهم الذى غرموه عليهن من الأصدقة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهرى وغير واحد وقوله تعالى (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) يعنى إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن أى تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولى وغير ذلك وقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن

وفى الصحيح عن الزهرى عن عروة عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساءه من المؤمنات فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات — إلى قوله — ولا تمسكوا بعصم الكوافر) فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج احداهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية . وقال ابن ثور عن معمر عن الزهرى : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأسفل الحديبية حين صالحهم على أنه من أتاه منهم رده اليهم فلما جاء النساء نزلت هذه الآية وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن وقال (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال وإنما حكم الله بينهم بذلك لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد وقال محمد بن إسحاق عن الزهرى طلق عمر يومئذ قريبة[1] بنت أبى أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهى أم عبدالله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة ابن غانم رجل من قومه وهما على شركهما ، وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص . وقوله تعالى (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أى وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتى يذهبن إلى الكفار إن ذهبن وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتى هاجرن إلى المسلمين وقوله تعالى (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) أى فى الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه (والله

(١) كذا فى الأصل ، وفى تفسير البغوى : فاطمة

عليم حكيم) أى عليم بما يصلح عباده حكيم فى ذلك ثم قال تعالى (وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) قال مجاهد وقتادة هذا فى الكفار الذين ليس لهم عهد إذا فرت اليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئا فإذا جاءت منهم امرأة لايدفع إلى زوجها شىء حتى يدفع إلى زوج الذاهبة اليهم مثل نفقته عليها ، وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرنى يونس عن الزهرى قال أقر المؤمنون بحكم الله فأدوا ماأمروا به من نفقات المشركين التى أنفقوا على نسائهم وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين فقال الله تعالى للمؤمنين به (وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين رد المؤمنون إلى زوجها النفقة التى أنفق عليها من العقب الذى بأيديهم الذى أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التى أنفقوا على أزواجهم اللاتى آمن وهاجرن ثم ردوا إلى المشركين فضلا إن كان بقى لهم ، والعقب ما كان بقى من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية ، يعنى إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ انه يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة ، وهكذا قال مجاهد (فعاقبتم) أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ماأنفقوا) يعنى مهر مثلها . وهكذا قال مسروق وإبراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهرى أيضا . وهذا لاينافى الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى وإلا فمن الغنائم اللاتى تؤخذ من أيدى الكفار ، وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير ولله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخى ابن شهاب عن عمه قال أخبرنى عروة أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية (يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك — إلى قوله — غفور رحيم) قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد بايعتك» كلاما ، ولا والله ما مست يده يد امرأة فى المبايعة قط ، ماييايعهن إلا بقوله « قد بايعتك على ذلك » هذا لفظ البخارى . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت رقيقة قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نساء لنبايعه فأخذ علينا مافى القرآن أن لانشرك بالله شيئا الآية وقال « فيما استطعتن وأطقتن » قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا يارسول الله ألا تصافحنا ؟ قال «إنى لاأصافح النساء إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة » هذا إسناد صحيح وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والنسائى أيضا من حديث الثورى ومالك بن أنس كلهم عن محمد بن المنكدر به وقال الترمذى حسن صحيح لانعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به وزاد : ولم يصافح منا امرأة، وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به. وراه ابن أبى حاتم من حديث أبى جعفر الرازى عن محمد بن المنكدر حدثتنى أميمة بنت رقيقة وكانت أخت خديجة خالة فاطمة من فيها إلى فى فذكره وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحاق حدثنى سليط بن أيوب بن الحكم بن سليم عن أمه سلمى بنت قيس وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه القبلتين ، وكانت إحدى نساء بنى عدى بن النجار قالت جئت رسول الله صلى الله

عليه وسلم نبايعه فى نسوة من الأنصار فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف قال « ولا تغششن أزواجكن » قالت فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعى فسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما غش أزواجنا؟ قال فسألته فقال : « تأخذ ماله فتحابى به غيره » وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد ابن حاطب حدثنى أبى عن أمه عائشة بنت قدامة يعنى ابن مظعون قالت أنا مع أمى رائطة ابنة سفيان الخزاعية والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع النسوة ويقول « أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينى فى معروف — قلن نعم — فيما استطعتن » فكن يقلن وأقول معهن وأمى تقول لى أى بنية نعم فكنت أقول كما يقلن وقال البخارى حدثنا معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى عليه وسلم فقرأ علينا (ولا تشركن بالله شيئا) ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت أسعدتنى فلانة فأريد أن أجزيها فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ورجعت فبايعها ، ورواه مسلم وفى رواية فما وفى منهن امرأة غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان وللبخارى عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيعة أن لا ننوح فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة أم سليم وأم العلاء وابنة أبى سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبى سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد كما قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرنى ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد فنزل نبى الله صلى الله عليه وسلم فكأنى أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال (يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف) حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ « أنتن على ذلك ؟ » فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدرى حسن من هى قال فتصدقن قال وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم فى ثوب بلال وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا عباس عن سليمان بن سليم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام فقال « أبايعك على أن لا تشركى بالله شيئا ولا تسرقى ولا تزنى ولا تقتلى ولدك ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحى ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى » وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهرى عن أبى إدريس الخولانى عن عبادة ابن الصامت قال كنا عند رسول الله صلى عليه وسلم فى مجلس فقال (تبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم — قرأ الآية التى أخذت على النساء إذا جاءك المؤمنات — فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » أخرجاه فى الصحيحين .

وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف وقال « فان وفيتم فلكم الجنة » رواه ابن أبى حاتم ، وقد روى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب فقال « قل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا » وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التى شقت بطن حمزة متنكرة فى النساء فقالت إنى إن أتكلم يعرفنى وإن عرفنى قتلنى وإنما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله

عليه وسلم فسكت النسوة اللاتى مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهى متنكرة كيف تقبل من النساء شيئا لم تقبله من الرجال ؟ فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر « قل لهن ولا يسرقن » قالت هند والله إنى لأصيب من أبى سفيان الهنات ما أدرى أيحلهن لى أم لا قال أبو سفيان ما أصبت من شىء مضى أو قد بقى فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فدعاها فأخذت بيده فعاذت به فقال « أنت هند ؟ » قالت عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل تزنى امرأة حرة قال « لا والله ما تزنى الحرة — قال — ولا يقتلن أولادهن » قالت هند أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر ، قال (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال (ولا يعصينك فى معروف) قال منعهن أن ينحن وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ، ويدعون بالويل والثبور . وهذا أثر غريب وفى بعضه نكارة والله أعلم ، فان أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفهما بل أظهر الصفاء والود لهما وكذلك كان الأمر من جانبه عليه السلام لهما . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الفتح ، بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على الصفاء وعمر بايع النساء يحلفهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بقيته كما تقدم وزاد :فلماقال ولاتقتلن أولادكن قالت هند ربيناهم صغاراً فقلتموهم كباراً فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى . رواه ابن أبى حاتم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنى أبى حدثنا نصر بن على حدثتنى أم عطية بنت سليمان حدثنى عمى عن جدى عن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبايعه فنظر إلى يدها فقال « اذهبى فغيرى يدك » فذهبت فغيرتها بحناء ثم جاءت فقال « أبايعك على أن لا تشركى بالله شيئا » فبايعته وفى يدها سواران من ذهب فقالت ما تقول فى هذين السوارين فقال « جمرتان من نار جهنم »

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبى قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وفى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك إذا جاء النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فإذا أقررن رجعن فقوله تعالى (يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) أى من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن أموال الناس الأجانب ، فأما إذا كان الزوج مقصرا فى نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها وإن كان من غير علمه عملا بحديث هند بنت عتبة أنها قالت يا رسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنى فهل على جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك » أخرجاه فى الصحيحين ، وقوله تعالى (ولا يزنين) كقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) وفى حديث سمرة ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم فى نار الجحيم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عليها (أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين) الآية قال فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه ما رأى منها فقالت عائشة أقرى أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا قالت فنعم إذا فبايعها بالآية ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبى قال بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال : ولا تقتلن أولادكن . فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصى بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك إذا جاءت النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فإذا أقررن رجعن ، وقوله تعالى (ولا يقتلن أولادهن) وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الاملاق ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه

وقوله تعالى (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال ابن عباس يعنى لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم وكذا قال مقاتل . ويؤيد هذا الحديث الذى رواه أبو داود ، حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو

يعنى ابن الحارث عن ابن الهاد عن عبدالله بن يونس عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية الملاعنة « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله الجنة ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين » وقوله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) يعنى فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر . قال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) قال إنما هو شرط شرطه الله للنساء . وقال ميمون بن مهران لم يجعل الله طاعة لنبيه إلا فى المعروف والمعروف طاعة ، وقال ابن زيد أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه فى المعروف . وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبى الجعد وأبى صالح وغير واحد نهاهن يومئذ عن النوح ، وقد تقدم حديث أم عطية فى ذلك أيضا . وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة فى هذه الآية ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليهن النياحة ولا تحدث الرجال إلا رجلا منكن محرما ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يارسول الله إن لنا أضيافا وإنا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس أولئك عنيت ، ليس أولئك عنيت » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء أخبرنا ابن أبى زائدة حدثنى مبارك عن الحسن قال كان فيما أخذ النبى صلى الله عليه وسلم ألا تحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم فان الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمذى بين فخذيه . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هارون عن عمرو عن عاصم عن ابن سيرين عن أم عطية الأنصارية قالت كان فيما اشترط علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف حين بايعناه أن لا ننوح فقالت امرأة من بنى فلان إن بنى فلان أسعدونى فلا حتى أجزيهم فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت قالت فما وفى منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك ، وقد روى البخارى هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية نسيبة الأنصارية رضى الله عنها . وقد روى نحوه من وجه آخر أيضا قال : حدثنا ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ القتات حدثنى مصعب بن نوح الأنصارى قال : أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فأتيته لأبايعه فأخذ علينا فيما أخذ أن لا تنحن فقالت عجوز يارسول الله إن ناسا قد كانوا أسعدونى على مصائب أصابتنى وانهم قد أصابتهم مصيبة فأنا أريد أسعدهم قال « فانطلقى فكافئيهم » فانطلقت فكافأتهم ثم إنها أتته فبايعته وقال هو المعروف الذى قال الله عز وجل (ولا يعصينك فى معروف) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا الضبى حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبى أسيد البزار عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نعصيه فى معروف أن لا نخمش وجها ولا ننشر شعرا ولا نشق جيبا ولا ندعوا ويلا وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يعقوب حدثنى إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت لما قدم رسول الله ﷺ جمع نساء الأنصار فى بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددن أو فرددنا عليه السلام ثم قال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن فقالت فقلنا : مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله ، فقال تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ، قالت : فقلنا نعم ، قالت فمد يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال : اللهم اشهد ، قالت وأمرنا فى العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق ولا جمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنائز قال إسماعيل فسألت جدتى عن قوله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) قالت النياحة

وفى الصحيحين من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » وفى الصحيحين أيضا عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة والحالقة والشاقة . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا هدبة

ابن خالد حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحيى بن أبى كثير أن زيدا حدثه ان أبا سلام حدثه ان أبا مالك الأشعرى حدثه ان رسول الله ﷺ قال « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت ـ وقال ـ النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » ورواه مسلم فى صحيحه منفردا به من حديث أبان بن يزيد العطار به وعن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة رواه أبو داود . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن يزيد مولى الصهباء عن شهر ابن حوشب عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ فى قول الله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) قال النوح ورواه الترمذى فى التفسير عن عبد بن حميد عن أبى نعيم وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيبانى مولى الصهباء به وقال الترمذى حسن غريب

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين فى آخر هذه السورة كما نهى عنها فى أولها فقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والابعاد فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة أى من ثواب الآخرة ونعيمها فى حكم الله عز وجل . وقوله تعالى (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) فيه قولان أحدهما كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين فى القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه . قال العوفى عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) إلى آخر السورة يعنى من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا اليهم أو يبعثهم الله عز وجل ، وقال الحسن البصرى (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات ، وقال قتادة كما يئس الكفار أن يرجع اليهم أصحاب القبور الذين ماتوا وكذا قال الضحاك رواهن ابن جرير ، والقول الثانى معناه كما يئس الكفار الذين هم فى القبور من كل خير قال الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبى ومنصور وهو اختيار ابن جرير رحمه الله . آخر تفسير سورة الممتحنة ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الصف وهى مدنية ﴾

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة وعن عطاء ابن يسار عن أبى سلمة عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا أيكم يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله أى الأعمال أحب إلى الله فلم يقم أحد منا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا رجلا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعنى سورة الصف كلها ، هكذا رواه الإمام أحمد وقال ابن أبى حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتى قراءة قال أخبرنى أبى سمعت الأوزاعى حدثنى يحيى بن أبى كثير حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثنى عبد الله بن سلام أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل فلم يذهب اليه أحدمنا وهبنا أن نسأله عن ذلك قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر رجلا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة (سبح لله) الصف قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها . قال أبو سلمة وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها قال يحيى بن أبى كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها قال الأوزاعى وقرأها علينا يحيى بن أبى كثير كلها قال أبى وقرأها علينا الأوزاعى كلها ، وقد رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى

حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه فأنزل الله تعالى (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قال عبدالله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو سلمة فقرأها علينا ابن سلام قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة قال ابن كثير فقرأها علينا الأوزاعى قال عبدالله فقرأها علينا ابن كثير ، ثم قال الترمذى وقد خولف محمد بن كثير فى إسناد هذا الحديث عن الأوزاعى فروى ابن المبارك عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن هلال بن أبى ميمونة عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن سلام أو عن أبى سلمة عن عبد الله بن سلام قلت وهكذا رواه الإمام أحمد عن معمر عن ابن المبارك به قال الترمذى وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعى نحو رواية محمد بن كثير قلت وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الأوزاعى كما رواه ابن كثير قلت وقد أخبرنى بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبى طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو المنجا عبدالله بن عمر بن اللتى أخبرنا أبو الوقت عبدالأول بن عيسى بن شعيب السجزى قال أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى أخبرنا عيسى بن عمر بن عمران السمرقندى. أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى بجميع مسنده أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعى فذكر بإسناده مثله وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبى العباس الحجار ولم يقرأها لأنه كان أميا وضاق الوقت عن تلقينها إياه ولكن أخبرنى الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان رحمه الله الذهبى أخبرنا القاضى تقى الدين بن سليمان بن الشيخ أبى عمرو أخبرنا أبو المنجا بن اللتى فذكره بإسناده وتسلسل لى من طريقه وقرأها على بكمالها ولله الحمد والمنة .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

قد تقدم الكلام على قوله تعالى (سبح لله مافى السموات ومافى الأرض وهو العزيز الحكيم) غير مرة بما أغنى عن إعادته : وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) إنكار على من يعد وعدا أو يقول قولا لا يفى به ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان » . وفى الحديث الآخر فى الصحيح « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها » فذكر منهن اخلاف الوعد وقد استقصينا الكلام على هذين الحديثين فى أول شرح البخارى ولله الحمد والمنة ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا صبى فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمى يا عبد الله تعالى أعطك فقال لها رسول الله ﷺ « وما أردت أن تعطيه ؟ » قالت تمرا فقال « أما إنك لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة » وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد عزم على الموعود وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج وأنا على كل يوم كذا فتزوج وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك لأنه تعلق به حق آدمى وهو مبنى على المضايقة وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقا وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وقال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ؟ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت) الآية وهكذا هذه الآية معناها كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون) قال كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟) وهذا اختيار ابن جرير . وقال مقاتل بن حيان : قال المؤمنون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبى صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله فى ذلك (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) وقال: أحبكم إلى من قاتل فى سبيلى . ومنهم من يقول أنزلت فى شأن القتال يقول الرجل قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقال قتادة والضحاك نزلت توبيخا لقوم كانوا يقولون قتلنا ضربنا طعنا وفعلنا ولم يكونوا فعلوا ذلك وقال ابن زيد نزلت فى قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك وقال مالك عن زيد بن أسلم (لم تقولون مالا تفعلون ؟) قال الجهاد وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد (لم تقولون مالا تفعلون - إلى قوله - كأنهم بنيان مرصوص) فما بين ذلك فى نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة قالوا فى مجلس لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم فقال عبد الله بن رواحة لا أبرح حبيسا فى سبيل الله حتى أموت فقتل شهيداً وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا فروة بن أبى المغراء حدثنا على بن مسهر عن داود بن أبى هند عن أبى حرب بن أبى الأسود الديلى عن أبيه قال بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه منهم ثلثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن فقال أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم . وقال كنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات فأنسيناها غير أنى قد حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) فتكتب شهادة فى أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة ولهذا قال تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله فى حومة الوغى يقاتلون فى سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر العالى على سائر الأديان

قال الإمام أحمد حدثنا على بن عبد الله حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن أبى الوداك عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » ورواه ابن ماجه من حديث مجالد عن أبى الوداك جبر بن نوف به وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا الأسود يعنى ابن شيبان حدثنى يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف كان يبلغنى عن أبى ذر حديث كنت أشتهى لقاءه فلقيته فقلت يا أبا ذر كان يبلغنى عنك حديث فكنت أشتهى لقاءك فقال فقد أبوك فقد لقيت فهات فقلت كان يبلغنى عنك أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم أن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة قال أجل فلا إخالنى أكذب على خليلى ﷺ قلت فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل ؟ قال رجل غزا فى سبيل الله خرج محتسبا مجاهدا فلقى العدو فقتل وأنتم تجدونه فى كتاب الله المنزل ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وذكر الحديث هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق وهذا اللفظ واختصره ، وقد أخرجه الترمذى والنسائى من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش عن زيد بن ظبيان عن أبى ذر بأبسط من هذا السياق وأتم وقد أوردناه

فى موضع آخر ولله الحمد . وعن كعب الأحبار أنه قال : يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « عبدى المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولاسخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه الشام وأمته الحامدون يحمدون الله على كل حال ، وفى كل منزلة لهم دوى كدوى النحل فى جو السماء بالسحر ، يوضون أطرافهم ويأتزرون على انصافهم صفهم فى القتال مثل صفهم فى الصلاة » ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث ادركتهم ولو على ظهر دابة . رواه ابن أبى حاتم . وقال سعيد بن جبير فى قوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) قال كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم ، وهذا تعليم من الله للمؤمنين . قال وقوله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) أى ملتصق بعضه فى بعض من الصف فى القتال وقال مقاتل بن حيان ملتصق بعضه إلى بعض وقال ابن عباس (كأنهم بنيان مرصوص) مثبت لايزول ملصق بعضه ببعض . وقال قتادة (كأنهم بنيان مرصوص) ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه . فكذلك الله عزوجل لا يحب أن يختلف أمره وان الله صف المؤمنين فى قتالهم وصفهم فى صلاتهم فعليكم بأمر الله فانه عصمة لمن أخذ به ، أورد ذلك كله ابن أبى حاتم وقال ابن جرير حدثنى سعيد بن عمرو السكونى حدثنا بقية بن الوليد عن أبى بكر بن أبى مريم عن يحيى بن جابر الطائى عن أبى بحرية قال كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الأرض لقول الله عزوجل (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) قال وكان أبو بحرية يقول : إذا رأيتمونى التفت فى الصف فجؤا فى لحيى

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ * وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام أنه قال لقومه (لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم) أى لم توصلون الأذى إلى وأنتم تعلمون صدقى فيما جئتكم به من الرسالة . وفى هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال « رحمة الله على موسى : لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر) وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبى صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) وقوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أى فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ولهذا قال تعالى فى هذه الآية (والله لا يهدى القوم الفاسقين) . وقوله تعالى (وإذا قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) يعنى التوراة قد بشرت بى وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدى وهو الرسول النبى الأمى العربى المكى أحمد . فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل وقد أقام فى ملأ بنى إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذى لا رسالة بعده ولا نبوة ، وما أحسن ما أورد البخارى الحديث الذى قال فيه حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لى

أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب» ورواه مسلم من حديث الزهرى به نحوه

وقال أبو داود الطيالسى حدثنا المسعودى عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن أبى موسى قال سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال « أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفى ونبى الرحمة والتوبة والملحمة » ورواه مسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به ، وقد قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) الآية ، وقال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حى ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه . وقال محمد بن إسحاق حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : يا رسول أخبرنا عن نفسك قال « دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام» وهذا إسناد جيد وروى له شواهد من وجوه أخر فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبى عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ « إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبى إبراهيم وبشارة عيسى بى ورؤيا أمى التى رأت وكذلك أمهات النبيين يرين » ، وقال أحمد أيضا حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان ابن عامر قال سمعت أبا أمامة قال : قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك . قال «دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام » ، وقال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجا أخا زهير بن معاوية عن أبى إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ونحن نحو من ثمانين رجلا منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشى وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشى سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له إن نفراً من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال فأين هم قالا: هم فى أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له مالك لا تسجد للملك . قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال وما ذاك . قال إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة ، قال عمرو بن العاص : فانهم يخالفونك فى عيسى بن مريم ، قال ما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه. قال نقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التى لم يمسها بشر ولم يعترضها ولد، قال فرفع عوداً من الأرض ثم قال يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذى نقول فيه ما يساوى هذا مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذى نجد فى الإنجيل وأنه الذى بشر به عيسى بن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرا وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضى الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه فى كتبها على أممها وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث ، وكان ما اشتهر الأمر فى أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم ، وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء أمرك يعنى فى الأرض قال « دعوة أبى إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمى التى رأت » أى ظهر فى أهل مكة أثر ذلك، والارهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه . وقوله تعالى (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) قال ابن جريج وابن جرير (فلما جاءهم) أحمد أى المبشر به فى الأعصار المتقادمة

المنوه بذكره فى القرون السالفة . لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون (هذا سحر مبين)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام) أى لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أندادا وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص ولهذا قال تعالى (والله لا يهدى القوم الظالمين) ثم قال تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أى يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ومثلهم فى ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس بفيه وكما أن هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى (والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهروه على الدين كله ولو كره المشركون) وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين فى سورة براءة بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

تقدم فى حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضى الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه فأنزل الله تعالى هذه السورة ومن جملتها هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) ثم فسر هذه التجارة العظيمة التى لا تبور ، التى هى محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى من تجارة الدنيا والكد لها والتصدى لها وحدها ثم قال تعالى (يغفر لكم ذنوبكم) أى إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال تعالى (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) ثم قال تعالى (وأخرى تحبونها) أى وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهى (نصر من الله وفتح قريب) أى إذا قاتلتم فى سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) وقوله تعالى (وفتح قريب) أى عاجل فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ولهذا قال تعالى (وبشر المؤمنين)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله فى جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال (من أنصارى إلى الله) أى من معينى فى الدعوة إلى الله عز وجل ؟ (قال الحواريون) وهم أتباع عيسى عليه السلام (نحن أنصار الله) أى نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك ، ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس فى بلاد الشام فى الإسرائيلين واليونانيين ، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول فى أيام الحج « من رجل يؤوينى حتى أبلغ رسالة ربى فان قريشا قد منعونى أن أبلغ رسالة ربى » حتى قيض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازروه وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار وصار ذلك علما عليهم رضى الله عنهم وأرضاهم

وقوله تعالى (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة) أى لما بلغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفة من بنى إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفه فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقا وشيعا فمن قائل منهم إنه ابن الله ، وقائل إنه ثالث ثلاثة : الأب والابن وروح القدس ، ومن قائل إنه الله ، وكل هذه الأقوال مفصلة فى سورة النساء

وقوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى نصرناهم على من عاداهم من فرق الكفار (فأصبحوا ظاهرين) أى عليهم وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنى أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال يعنى ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم فى بيت اثنا عشر رجلا من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من يكفر بى اثنتى عشر مرة بعد أن آمن بى ، قال ثم قال أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ويكون معى فى درجتى : قال فقام شاب من أحدثهم سنا فقال أنا ، فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال له : اجلس . ثم عاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال : نعم أنت ذاك . قال فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روزنة فى البيت إلى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمنوا به فتفرقوا فيه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية . وقالت فرقة كان فينا ابن الله ماشاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة) يعنى الطائفة التى كفرت من بنى إسرائيل فى زمن عيسى والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) باظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار . هذا لفظه فى كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة ، وهكذا رواه النسائى عند تفسير هذه الآية من سننه عن أبى كريب عن محمد بن العلاء عن أبى معاوية بمثله سواء فأمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح والله أعلم . آخر تفسير سورة الصف ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الجمعة وهى مدنية ﴾

عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الجمعه بسورة الجمعة والمنافقين . رواه مسلم فى صحيحه

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّينَ

رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما فى السموات وما فى الأرض أى من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها كما قال تعالى (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) ثم قال تعالى (الملك القدوس) أى هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه وهو القدس أى المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال (العزيز الحكيم) تقدم تفسيرهما غير مرة . وقوله تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) الأميون هم العرب كما قال تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفى من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى فى قوله (وإنه لذكر لك ولقومك) وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) وهذا وأمثاله لا ينافى قوله تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) وقوله (لأنذركم به ومن بلغ) وقوله تعالى إخبارا عن القرآن (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم وقد قدمنا تفسير ذلك فى سورة الأنعام بالآيات والأحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة

وهذه الآية هى مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة إليه وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب أى نزرا يسيرا ممن تمسك بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكا وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم والنهى عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب فى الأصول والفروع ، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه مالم يعط أحدا من الأولين ولا يعطيه أحدا من الآخرين فصلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، وقوله تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) قال الإمام أبو عبدالله البخارى رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن ثور عن أبى الغيث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قالوا من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا وفينا سلمان الفارسى فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان الفارسى ثم قال « لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال ـ أو رجل ـ من هؤلاء » ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير من طرق عن ثور بن يزيد الديلى عن سالم أبى الغيث عن أبى هريرة به ، ففى هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس لأنه فسر قوله تعالى (وآخرين منهم) بفارس ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى اتباع ما جاء به ولهذا قال مجاهد وغير واحد فى قوله تعالى

(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال هم الأعاجم وكل من صدق النبي صلى الله عليه وسلم من غير العرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ « إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب » ثم قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) يعني بقية من بقي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره ، وقوله تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعني ما أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم من النبوة العظيمة وما خص به أمته من بعثه ﷺ إليهم .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا أي كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملا حسيا ولا يدري ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمير لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقال تعالى ههنا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) . وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول له أنصت ليس له جمعة » ثم قال تعالى (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أي إن كنتم تزعمون أنكم على هدى وأن محمدا وأصحابه على ضلالة فادعوا بالموت على الضال من الفئتين إن كنتم صادقين أي فيما تزعمونه قال الله تعالى (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بما يعلمون لهم من الكفر والظلم والفجور (والله عليم بالظالمين) وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود حيث قال تعالى (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) وقد أسلفنا الكلام هناك وبينا أن المراد أن يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) ومباهلة المشركين في سورة مريم (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) . وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي حدثنا أبو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لعنه الله إن رأيت محمدا عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال : فقال رسول الله ﷺ « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا » رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم قال البخاري وتبعه عمرو بن

خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم ، ورواه النسائى أيضا عن عبد الرحمن بن عبد الله الحلبى عن عبيد الله ابن عمرو الرقى به أتم

وقوله تعالى (قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) كقوله تعالى فى سورة النساء (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وفى معجم الطبرانى من حديث معاذ محمد بن محمد الهدلى عن يونس عن الحسن عن سمرة مرفوعا « مثل الذى يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فجاء يسعى حتى إذا أعيا وانهر دخل جحره فقالت له الأرض يا ثعلب دينى فخرج له حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات »

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فان أهل الاسلام يجتمعون فيه فى كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من السنة التى خلق الله فيها السموات والأرض وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح . وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن أبى معشر عن إبراهيم عن علقمة عن قرثع الضبى حدثنا سلمان قال : قال أبو القاسم ﷺ « ياسلمان ما يوم الجمعة ؟ » قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبوا كم - أو أبوكم - » وقد روى عن أبى هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم ، وقد كان يقال له فى اللغة القديمة يوم العروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذى لم يقع فيه خلق آدم ، واختار النصارى يوم الأحد الذى ابتدئ فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذى أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا والنصارى بعد غد » لفظ البخارى وفى لفظ لمسلم « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق » وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) أى اقصدوا واعمدوا واهتموا فى سيركم إليها ، وليس المراد بالسعى ههنا المشى السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضى الله عنهما يقرآنها (فامضوا إلى ذكر الله) فأما المشى السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم الاقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » لفظ البخارى وعن أبى قتادة قال : بينما نحن نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال « ما شأنكم ؟ » قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال « فلا تفعلوا : إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » أخرجاه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » . رواه الترمذى من حديث عبد الرزاق كذلك وأخرجه من طريق يزيد

ابن زريع عن معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة بمثله ، قال الحسن أما والله ماهو بالسعى على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة فى قوله (فاسعوا إلى ذكر الله) يعنى أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشى إليها وكان يتأول قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) أى المشى معه ، وروى عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها لما ثبت فى الصحيحين عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ولهما عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حق لله على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » رواه مسلم ، وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « على كل رجل مسلم فى كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة » رواه أحمد والنسائى وابن حبان . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن أوس الثقفى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ، ودنا من الامام واستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها » وهذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذى ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » أخرجاه . ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفى حديث أبى سعيد المتقدم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله » وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن محمد بن إسحاق حدثنى محمد بن إبراهيم التيمى عن عمران بن أبى يحيى عن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبى أيوب الأنصارى سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتى المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » . وفى سنن أبى داود وابن ماجه عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته » وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال « ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته » رواه ابن ماجه . وقوله تعالى (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) المراد بهذا النداء هو النداء الثانى الذى كان يفعل بين يدى رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فانه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فأما النداء الأول الذى زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فانما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخارى رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم هو ابن أبى إياس حدثنا ابن أبى ذئب عن الزهرى عن السائب ابن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء يعنى يؤذن به على الدار التى تسمى بالزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول أن النداء كان فى الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الامام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذى يحرم عنده الشراء والبيع إذا نوى به ، فأمر عثمان رضى الله عنه أن ينادى قبل خروج الامام حتى يجتمع الناس . وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر فى كتب الفروع

وقوله تعالى (وذروا البيع) أى اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودى للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضى الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثانى ، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر فى موضعه والله أعلم . وقوله تعالى (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى تركم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أى فى الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون . وقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة) أى فرغ منها (فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) لما حجر عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ فى الأنتشار فى الارض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إنى أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين رواه ابن أبى حاتم . وروى عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى فى يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) وقوله تعالى (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى فى حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكرا كثيرا ولا تشغلكم الدنيا عن الذى ينفعكم فى الدار الآخرة ، ولهذا جاء فى الحديث «من دخل سوقا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة» وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) أى على المنبر تخطب ، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة ، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر إلا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر قال قدمت عير مرة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فخرج الناس وبقى اثنا عشر رجلا فنزلت (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) أخرجاه فى الصحيحين من حديث سالم به . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبى الجعد وأبى سفيان عن جابر بن عبد الله قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عير إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارا » ونزلت هذه الآية (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) وقال كان فى الأثنى عشر الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وفى قوله تعالى (وتركوك قائما) دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما . وقد روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبى صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس ، ولكن ههنا شىء ينبغى أن يعلم وهو : أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود فى كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد عن الوليد أخبرنى أبو معاذ بكير بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى إذا كان يوم والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال : إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة ، يعنى فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير

وقوله تعالى (قل ماعند الله) أى الذى عند الله من الثواب فى الدار الآخرة (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) أى لمن توكل عليه وطلب الرزق فى وقته . آخر تفسير سورة الجمعة ولله الحمد والمنة . وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة المنافقين وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبى ﷺ فأما فى باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) أى إذا حضروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال (والله يعلم إنك لرسوله) . ثم قال تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) أى فيما أخبروا به وإن كان مطابقا للخارج لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم. وقوله تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أى اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقدو أنهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم أنهم كانوا فى الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالا ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى (فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون) ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها (اتخذوا إيمانهم جنة) أى تصديقهم الظاهر جنة أى تقية يتقون به القتل، والجمهور يقرؤها (أيمانهم) جمع يمين وقوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) أى إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران واستبدالهم الضلالة بالهدى فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون . أى فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تعى ولا تهتدى

وقوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) أى وكانوا أشكالا حسنة وذوى فصاحة وألسنة وإذا سمعهم السامع يصغى إلى قولهم لبلاغتهم ، وهم مع ذلك فى غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن ولهذا قال تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم) أى كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم كما قال تعالى (أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) فهم جهامات وصور بلا معانى ، ولهذا قال تعالى (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحى عن إسحاق بن بكير بن أبى الفرات عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل صخب بالنهار » وقال يزيد بن مرة : صخب بالنهار

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم (إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) أى صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكبارا عن ذلك واحتقارا لما قيل لهم ولهذا قال تعالى (ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين) كما قال فى سورة براءة وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هنالك

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر العدنى قال: قال سفيان (لووا رءوسهم) قال ابن أبى عمر حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شزرا ثم قال هو هذا. وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل فى عبد الله بن أبى ابن سلول كما سنورده قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان، وقد قال محمد بن إسحق فى السيرة ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة يعنى مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبى ابن سلول كما حدثنى ابن شهاب الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا إذا جلس النبى ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع يعنى مرجعه بثلث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجرا أأن قمت أشدد أمره فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك مالك؟ قال قمت أشدد أمره فوثب على رجال من أصحابه يجذبونى ويعنفونى لكأنما قلت بجرا أأن قمت أشدد أمره قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال والله ما أبتغى أن يستغفر لى، وقال قتادة والسدى: أنزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وذلك أن علاما من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعاه رسول الله ﷺ فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعدو الله لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوى رأسه أى لست فاعلا. وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلى فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبى ابن سلول قال ليخرجن الأعز منها الأذل فأرتحل قبل أن ينزل آخر النهار وقيل لعبد الله بن أبى ائت النبى ﷺ حتى يستغفر لك فأنزل الله تعالى (إذا جاءك المنافقون - إلى قوله - وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير، وقوله: إن ذلك كان فى غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فان عبد الله بن أبى ابن سلول لم يكن ممن خرج فى غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وإنما المشهور عند أصحاب المغازى والسير أن ذلك كان فى غزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثنى محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة

فى قصة بنى المصطلق فبينا رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفارى وكان أجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد قال ابن إسحق فحدثنى محمد بن يحيى بن حبان قال ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان يا معشر الأنصار وقال الجهجاه يامعشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبى فلما سمعها قال قد ثاورونا فى بلادنا والله مامثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأ كلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من عنده من قومه وقال هذا ماصنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها فسمعها زيد بن أرقم رضى الله عنه فذهب بها إلى رسول الله ﷺ وهو غليم عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخبره الخبر فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله مر عباد ابن بشر فليضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فكيف إذا تحدث الناس ياعمر أن محمدا يقتل أصحابه لا ، ولكن ناد ياعمر الرحيل » فلما بلغ عبد الله بن أبى أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ما قال ، ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجرا فى ساعة كان لا يروح فيها فلقيه أسيد بن الحضير رضى الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبى ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل » قال فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل ثم قال ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه فانه ليرى أن قد سلبته ملكا فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا بشر بن موسى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصارى يا للأنصار وقال المهاجرى يا للمهاجرين فقال رسول الله ﷺ « مابال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فانها منتنة » وقال عبد الله بن أبى ابن سلول وقد فعلوها : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال جابر وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ثم كثر المهاجرون بعد ذلك فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال النبى ﷺ « دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد المروزى عن سفيان بن عيينة ورواه البخارى عن الحميدى ومسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وغيره عن سفيان به نحوه : وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن محمد بن كعب القرظى عن زيد بن أرقم قال كنت مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبى لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال فأتيت النبى ﷺ فأخبرته قال فحلف عبد الله بن أبى أنه لم يكن شىء من ذلك قال فلامنى قومى وقالوا ما أردت إلى هذا؟ قال فانطلقت فنمت كئيبا حزينا قال فأرسل إلى نبى الله ﷺ فقال « إن الله قد أنزل عذرك وصدقك » قال فنزلت هذه الآية (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا — حتى بلغ — لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ورواه البخارى عند هذه الآية عن آدم بن أبى إياس عن شعبة ثم قال وقال ابن أبى زائدة عن الأعمش عن عمرو عن ابن أبى ليلى عن زيد عن النبى ﷺ ورواه الترمذى والنسائى عندها أيضا من حديث شعبة به . ﴿ طريق أخرى عن زيد ﴾ قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبى بكير قالا: حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق قال سمعت زيد بن أرقم وقال أبو بكير عن زيد بن أرقم قال خرجت مع عمى فى غزاة فسمعت عبد الله بن أبى ابن سلول يقول لأصحابه لاتنفقوا على من عند رسول الله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فأرسل إلى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه فحلفوا

بالله ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست في البيت فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ! قال حتى أنزل الله (إذا جاءك المنافقون) قال فبعث إلى رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ علي ثم قال « إن الله قد صدقك » . ثم قال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا : كذب زيد يارسول الله ، فوقع في نفسي مما قالوا فأنزل الله تصديقي (إذا جاءك المنافقون) قال ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رءوسهم

وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) قال كانوا رجالا أجمل شيء ، وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ورواه البخاري أيضا والترمذي من حديث إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي عن زيد به . ﴿ طريق أخرى عن زيد ﴾ قال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي سعد الأزدي قال حدثنا زيد بن أرقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقوننا اليه فسبق أعرابي أصحابه ليملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه قال فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه فانتزع حجرا فغاض الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن معه ثم قال لأصحابه لئن رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل قال زيد وأنا ردف عمي ، قال فسمعت عبد الله بن أبي يقول ما قال فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني ، قال فجاء إلى عمي فقال ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون قال فوقع علي من الغم مالم يقع على أحد قط ، قال فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر وقد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ثم إن أبا بكر لحقني وقال: ماقال لك رسول الله ﷺ ؟ قلت ماقال شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي فقال أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر ، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين . انفرد باخراجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح . وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن عبيد الله بن موسى به وزاد بعد قوله سورة المنافقين (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ـ حتى بلغ ـ هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ـ حتى بلغ ـ ليخرجن الأعز منها الأذل)

وقد روى عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير في المغازي وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق ولكن جعلا الذي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبي ابن سلول إنما هو أوس بن أقرم من بني الحارث بن الخزرج فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم . وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عزيز الايلي حدثني سلام حدثني عقيل أخبرت محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري أخبراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة المريسيع وهي التي هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فكسر مناة فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله ﷺ تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من جهينة ، وهم

حلفاء الأنصار فاستعلى الرجل الذى من المهاجرين على البهزى فقال البهزى يامعشر الأنصار فنصره رجال من الأنصار وقال المهاجرى يامعشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شىء من القتال ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل فى قلبه مرض إلى عبد الله بن أبى ابن سلول فقال قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لاتضر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب فقال عبد الله بن أبى عدو الله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشى حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس أضرب عنقه يريد عمر عبد الله بن أبى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم والله لئن أمرتنى بقتله لأضربن عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجلس » فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحد بنى عبد الأشهل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال نعم والله لئن أمرتنى بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه ، فقال رسول الله ﷺ « اجلس » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آذنوا بالرحيل » فهجر بالناس فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة فى ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله ﷺ المدينه أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ « أى عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم ، فقال رسول الله ﷺ والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه فيتحدث الناس أنى قد وقعت على أصحابى فأقتلهم صبرا وأنزل الله عز وجل (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا — إلى قوله تعالى — يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) الآية وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لاتوجد إلا فيه ، وقال محمد بن إسحاق بن يسار حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبى لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ « بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا » وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبى قال له ابنه وراءك: فقال مالك ويلك ؟ فقال والله لاتجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فانه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبد الله بن أبى ابنه فقال ابنه عبد الله : والله يارسول الله لايدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى فى مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا أبو هارون المدنى قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول لأبيه والله لاتدخل المدينة أبدا حتى تقول رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل ، قال وجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنه بلغنى انك تريد أن تقتل أبى فوالذى بعثك بالحق ماتأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فانى أكره أن أرى قاتل أبى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ

قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبرا لهم بأنه من انتهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثهم على الانفاق فى طاعته فقال (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا ليستعتب ويستدرك ما فاته وهيهات ، كان ما كان أوتى ما هو آت ؛ وكل بحسب تفريطه ؛ أما الكفار فكما قال تعالى (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) وقال تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) . ثم قال تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) أى لا ينظر أحدا بعد حلول أجله . وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقا فى قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى (والله خبير بما تعملون) . وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب الكلبى عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكفار فقال سأتلوا عليك بذلك قرآنا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ـ إلى قوله ـ والله خبير بما تعملون) قال فما يوجب الزكاة ؟ قال إذا بلغ المال مائتين فصاعدا ؟ قال فما يوجب الحج . قال الزاد والبعير . ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثورى عن يحيى بن أبى حية وهو أبو جناب الكلبى عن الضحاك عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبى جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح ، وضعف أبا جناب الكلبى ﴿ قلت ﴾ ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة الجهنى عن عمه يعنى أبا مشجعة بن ربعى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة فى العمر فقال « إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة فى العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم فى قبره » . آخر تفسير سورة المنافقين ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة التغابن وهى مدنية وقيل مكية ﴾

قال الطبرانى حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقى حدثنا العباس بن الوليد الخلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامن مولود يولد إلا مكتوب فى تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن » أورده ابن عساكر فى ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جدا بل منكر .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ